مجلة الدراسات الافريقية



العدد الخامس عشر ١٩٩٤

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

مكانة الجمل فى الفولكلور الصومالى
« دراسة فى الانثربولوجيا الثقافية »

مقــدمة من :

دكتــور / توفيــق الحســينى عبــده
أســتاذ الانثربولوجيــا المســاعد
معهــد البحوث والدراسات الافريقية
جامعــة القــاهرة

مقـــدمة :

تحتل بعض الحيوانات مركزا هاما فى الحياة الاجتماعية للشعوب ، ففى شرق افريقيا تعتمد الشعوب الرعوية على الماشية على اساس أنها حيوان الرعى الأكثر ملائمة للبيئة ، أما فى المناطق القطبية فان حيوان الرنة يلعب دورا بارزا فى تكيف الناس هناك للظروف الجغرافية الصعبة التى يعيشون فيها ، ويسود منطقة الساحل الشمالى لافريقيا وأجزاء كبيرة من الوطن العربى حرفة رعى الغنم والمــاعز ، أما فى الصومال فان الجمل يعد الحيوان الملائم للظروف الطبيعية والبشرية السائدة فى هذا القطر العربى الافريقى •

ولذلك فقد اكتسب الجمل أهمية اجتماعية واقتصادية جعلته فى مكان الصدارة من حيوانات الرعى الاخرى ، فلا غرو أن يكون الجمل هو محور الحياة الاجتماعية والثقافية لعدد كبير من سكان الصومال ، وبالتالى أصبح مصدر اهتمامهم ومبعث مدحهم وافتخارهم يمتدحونه فى شتى المناسبات وذلك بذكر العديد من الاوصاف والفوائد التى يمكن أن يجتنيها الراعى وأهله وسكان مجتمعه من الجمل • مما شكل تراثا قوميا على جانب كبير من الاهمية وحفظ للاجيال القادمة سجلا هائلا من الوان الادب الشعبى بصوره المتعددة سواء ما كان منها فى صــورة نثر أو شعر أو حكم ومواعظ تجرى مجــرى الامثال الثقافية وبذلك زخرت الثقافة الصومالية بكنز لا يستهان به •

ومن وظائف هذا التراث الشعبى تأكيد الروح القومية للشـعب واضفاء خصائص مميزة للشخصية الصومالية • تأتى أهميتها فى حفظ وبقاء الوحدة الوطنية بين سكان المجتمع مهما تباعدت بهم الاقاليم واختلفت مواقعهم فى الزمان وبالمكان •

ولقد استمد الصوماليون من صفات الجمل وخصائصه الصـفات والخصائص والقيم الاجتماعية التى تتميز بها الشخصية الصومالية ، فاذا كان الجمل صبورا يتحمل الجوع والعطش لفترة طويلة نجـد أن الصومالى يواجه البيئية القاسية التى يعيش فيها بصير وجلد قلما يوجـد لـدى شـعب آخـر •

واذا كان الجمل كريما يعطى الكبار والصغار الغذاء فى كل الاوقات ومختلف الاماكن ، فان الصومالى يتميز بطابع الكرم وحب العطاء ولا يضن بما لديه على أقاربه جيرانه وضيوفه ، بل قد يضحى راعى الجمل بالحيوان الذى يحبه فى سبيل تأصيل وترسيخ قيمة الكـرم والبذل التى اعتاد عليها اذا دعت الضرورة ذلك •

ومن دراستنا للفولكلور الصـومالى وتحليل القيم الثقافية التى تتضمنها نجد أن هناك قدرا من التطابق بين الصفات والخصائص التى يتحلى بها الجمل وأهمها الصبر والذكاء والقناعة والكرم وبين القيم الثقافية التى تميز شخصية الفرد الصومالى •

ولقد اجمع الكتاب من العرب والاجانب الذى درسـوا المجتمع الصومالى عن قرب على ذلك فوصفوا شخصية الفرد الصومالى بأنه ذكى صبور قنوع يرضى بالقليل ، وهو عفيف النفس يأبى الجشع ولذلك فهو شديد الحساسية ، حريص على شعوره ، معتز بنفسه شـديد الاعتداد بها كما أنه لين العريكة طيب المعشر • كما يتميز الصـوماليون بالهدوء والمسالمة ، ولا يكرهون الغرباء بل يميلون لمساعدتهم ويسارعون الى خدمتهم • ويتميز خلق الصومالى بالامانة الشديدة ، ويمكن للمرء أن يلمس هذه الفضيلة فى أى صومالى مهما كان فقيرا •

الانثربولوجيا والفولكلور :

تهتم الانثربولوجيا الثقافية بدراسة الثقافة السائدة عند شعب من الشعوب ، وابراز الخصائص والسمات والعناصر التى توجد فى المجتمع ٠

والثقافة بالمعنى المبسط هى طريقة معيشة مجتمع ما ، سواء أكان ذلك المجتمع بدائيا أو متخلفا أو ناميا أو متقدما ، والثقافة من صنع الانسان وهى ظاهرة طبيعية تخضع لقوانين الطبيعة مثل قانون التطور وقانون البقاء للاصلح ، ولذلك فهى تدرس بمناهج علمية لا تختلف عن المناهج التى تستخدمها العلوم الطبيعية ٠ ان قدرة الانسان على على انتاج الثقافة هى خاصية تميز الانسان عن باقى الثدييات والحيوانات جمعيا ٠ ومن أهم عناصر الثقافة اللغة ، فعن طريقها تجمع وتسجل الثقافة وتنتقل من جيل الى الآخر وبالتالى تنمو وتتقدم ، كما أن الثقافة تزود اللغة معظم مضمونها فهى التى تعطى الانسان الموضوعات التى يتكلم عنها (١) ٠

ويمكن القول أن الانثربولوجيا الثقافية تهتم بدراسة السلوك الانسانى فى ماضيه وحاضره ، ولما كانت ثقافة الانسان (العرف والتقاليد والمعتقدات والممارسات ٠٠٠ الخ) ٠ هى الوسيلة التى تمكنه من الاتصال بالآخرين سواء جماعته المحلية أو الجماعات الاخرى المحيطة ، بما لها من خصائص اجتماعية فى بيئتها الطبيعية المتباينة لذا كان أحد أهداف الانثربولوجيا الثقافية هو دراسة هذا التباين أو التشابه الثقافى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاهتمام بتاريخ هذه الثقافات وأصولها ونموها وتطورها (٢) ٠

---

(١) عاطف وصفى : الانثربولوجيا الثقافية — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٥ — ص ٢٤ ٠

(٢) فاروق مصطفى اسماعيل : الانثربولوجيا الثقافية — دار المعرفة — الاسكندرية — ١٩٨٤ — ص ٢٨ ٠

ولقد تعددت مدارس الفكر التى تناولت العلاقة بين الانثربولوجيا والفولكلور • حتى استطاعت النظرية الانثربولوجية الانجليزية أن تثبت جدواها فى الدراسات الفولكلورية بعد جدل طويل مع المدارس الأخرى • كما وجدت هذه النظرية انصارا لها فى بلدان أخرى خارج انجلترا ، ففى المانيا رأينا تأثيرها واضحا فى مؤلفات مانهارت « الميثولوجى » وفى فرنسا كانت نظرية توالد الحـكايات لجوزيف بيديه تعمل تحت تأثير المدرسة الانثربولوجية • وهذه المدرسة نفسها هى التى بسطت المادة للنظرية التطورية عند برونتير وأيضا عند ليتورنو (٣) •

أما فى فرنسا فقد ارتبطت الدراسات الاثنولوجية وفى مقدمتها الدراسات الشعبية بالاستعمار الفرنسى لبعض دول شمال افريقيا ، مما دفعهم الى دراسة فولكلور افريقيا البيضاء وأفريقيا السدواء — على حد تعبيرهم — مما يشغل حيزا كبيرا فى دراساتهم حتى اليوم (٤) •

وأشمل تعريف للفولكلور هو ما ذكره ايكه هو لتكرانس فى قاموسه وهو « الفولكلور هو العلم الذى يدرس التراث الروحى (اللامادى) للشعب وخاصة التراث الشفاهى ، وقد كان اسبينوزا Espinosa وكراب من بين من عرفوا تنظيم ومجال العلم ، فيذهب اسبينوزا الى أن علم الفولكلور هى ذلك الفرع من المعرفة الانسانية الذى يجمع ويصنف ويدرس مواد الفلولكلور بطريقة علمية • وذلك من أجل تفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر العصور » • ويقـول كراب أن « مجال الفولكلور هو اعادة بناء صورة التاريخ الروحى للانسان لا كما يتمثل

---

(٣) يورى سولوكوف : علم الفولكلور ، قضاياه وتاريخه — ترجمة حلمى شعراوى ، عبد الحميد حواس — الهيئة العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧١ ، ص ١٧ •

(٤) نبيلة ابراهيم : الدراسات الشعبية — دار المريخ — الرياض ١٩٨٥ — ص ١٩ •

فى الاعمال البارزة للشعراء والفنانين والمفكرين ، ولكن كما تتضح فى أصوات الشعب غير المصقولة » (١) .

هـــدف البحث :

يعتمـــد البحث على المنهج المقارن Comparative Method كمنهج فى الانثربولوجيا والفلولكلور تخضـــع فيه الظـــواهر الثقافية للمقارنة والتحليل .

واذا كان عالم الانثربولوجيا الثقافية هرسكوفينر قد صاغ نظرية المناطق الثقافية فى افريقيا وأبـــز فيها دور الماشية عند الشعوب الرعوية فى شرق افريقيا فى المركب المعروف بمركب الماشية Cattle Complex على أساس أن السمات الثقافية والنظم الاجتماعية ترتبط عند هذه الشعوب بالماشية .

فاننا نود أن نكشف عن دور الجمال فى المجتمع الصومالى ، والى أى حد ترتبط السمات والعناصر الثقافية من خلال تحليل الفولكلور الصومالى ، ولذلك نطلق على مثل تلك المجتمعات الرعوية مركب الجمال Camel Complex .

ولذلك فان المقارنة التى نستخدمها فى هذه الحالة هى أســـلوب « المقارنة الاقليمية المركزة » التى تستخدم داخل حدود اقليمية معينة للتعرف على الانماط الاساسية التى يمكن تصنيف الاشكال الاجتماعية تبعا لهـــا .

هـــدف البحث :

يهـــدف البحث أساسا الى : ــ

١ ــ مدى ملائمة المدخل الانثربولوجى الثقافى لدراسة الفولكلور .

٢ ــ التعرف على الدور الثقافى والاجتماعى للجمل فى حياة الشعب الصـــومالى .

(١) ايكة هولتكرانس قاموس الاثنولوجيا والفولكلور ــ ترجمـــة د. محمد الجوهرى ، د. حسن الشامى ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٢ ــ ص ٢٨٦ .

٣ ـ تحليل عناصر الفلولكلور الصـومالى وابراز الوظائف التى يؤديهـا •

٤ ـ دور البيئة فى تشكيل الظواهر الفلولكلورية •

٥ ـ وظيفة الفولكلور كعامل من عوامل تماسك الوحدة الوطنية •

٦ ـ الوظيفة التربوية للفولكلور من خـلال العادات والتقاليد وانتقالها عبر الاجيال •

٧ ـ مقارنة المناطق الثقافية الرعوية فى شرق افريقيا وفى الصومال من خلال الاعتماد على حيـوان الرعى •

فـروض البحث :

ويقوم البحث على اختبار الفروض التالية : ـ

ـ يكشف الفولكلور عن القيم الثقافية التى يعتنقها المجتمع من خلال المعتقدات والعادات والتقاليد ، كما يستخدم الادب الشعبى كوسائل للتعبير عن هذه القيم •

ـ للفولكلور وظائف متعددة يؤديها فى المجتمع ، فبالاضافة الى الوظيفة الترفههية وهى تسلية وامتاع الناس ، فهناك الوظيفةالتعليمية ، فالامثال والاشعار تحتوى على حكمة عدد كبير من الاجيال • هـذه بالاضافة الى الهدف الاخلاقى •

ـ أن حيوان الرعى الاكثر ملائمة للبيئة هو الذى يستحوذ على اهتمام الناس ، وبالتالى يحتل مكانة فى قلوب الشعب ، ينعكس أثره واضحا فى كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات •

ـ تؤكد فنون الادب الشعبى على استقرار واستمرار الثقافة وتعلم الصغار التقاليد والممارسات المقبولة اجتماعيا •

أما تقسيم وتصنيف موضوعات المادة الفولكلورية (*) فقد تطابقت آراء العلمـاء فيهـا ، وأن اختلفت فى ترتيبهـا وأهميتهـا . وأهم التصـنيفات هى : —

(أ) تصنيف دوروسـون :

١ — ميدان الادب الشفاهى .

٢ — الحياة الشعبية أو الثقافة المادية .

٣ — العادات الاجتماعية الشعبية (ويضمنها المعتقدات الشعبية).

٤ — فنون الاداء الشـعبى (الموسيقى الشـعبية ، الرقص ، الـدراما) .

(ب) تصـنيف بويكارت ولاوفر :

١ — المعتقدات الشعبية .

٢ — العادات والتقاليد .

٣ — التراث القصصى الشعبى .

٤ — الحـكاية الخـرافية .

(ج) تصـنيف الدكتور الجوهرى :

١ — المتقدات والمعارف الشعبية .

٢ — العادات والتقاليد الشعبية .

٣ — الادب الشـعبى .

٤ — الثقافة المادية والفنون الشعبية .

(*) انظر عرضا شاملا لهذه التصنيفات فى :
محمـد الجوهرى : علم الفولكلـور ، ج ١ ، الطبعة الرابعة — دار المعـارف — القاهرة ١٩٨١ — صفحات من ٨٧ — ١٣٤ .

وسوف نسير فى دراستنا على التصنيف الاخـــير مقتصرين على العناصر الثلاثة الاولى ، على أن نستكمل العنصر الرابع وهو الثقافة المادية والفنون الشعبية فى دراسة قادمة بمشـــيئة الله فى المســـتقبل القـــريب .

أولا : المعتقدات والمعارف الشعبية

هى المعتقدات التى يؤمن بها الشعب فيما يتعلق بالعالم الخارجى والعالم فوق الطبيعى ، وقد تكون معتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الالهام ، أو أنها كانت أصـــلا معتقدات دينية اسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ، ثم تحولت فى صدور الناس الى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث الكامن على مدى الاجيال ، فلم تعد معتقدات دينية رسمية بالمعنى الصحيح ، ... وهى لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر فى صدور اصحابها وتتشكل بصورة مبالغ فيها احيانا حيث يلعب الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصـــا ، وهى مع تمكنها فى اعماق النفس الانسانية موجودة فى كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضريين وفى كل طبقات المجتمع (١) .

وتتميز موضوعات المعتقدات والمعارف الشعبية بوجود آثار وبقايا الثقافات القديمة ببنياتهما الاجتماعية والاقتصادية المبكرة (كالمجتمع الاقطاعى أو القبلى) فلن تجد وجها للحياة أو للنشـــاط فى المجتمع الانسانى لا يعكس بدرجة أو بأخرى خبرة المراحل الماضية للحضارة الانسانية ، ولا أساس لان تجعل من الفولكلور ميدانا منفصلا من ميادين المعرفة بناء على هذه الخاصية وحدها . حيث يمكن أن نلاحظ البقايا فى النواحى المادية للثقافة مثلما تلاحظ فى العادات والتقاليد والآراء الشائعة واللغة والفن ، وباختصار فى نواحى الحياة الاجتماعية .

---

(١) محمد الجوهرى : علم الفولكلور ، الجزء الأول ، دار المعارف ــ الطبعة الرابعة ــ اتلقاهرة ١٩٨١ ، ص ١٠٠ .

ولذلك فاننا نتفق مع سوكولوف عالم الفولكلور الروسى الذى يرى أن الفولكلور ليس صدى للماضى فحسب ، ولكنه فى نفس الوقت — صوت الحاضر المدوى — اننا لو اخضعنا الفولكلور لفكرة الماضى الحى (التى شاعت حينا تحت تأثير النزعة المثالية الرومانسية) فسيعنى ذلك وجوب تجاوز الدور الذى يقوم به الفولكلور فى الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه لن يصور لنا بوضوح وظيفته الاجتماعية (١) .

وتتنوع موضوعات المعتقدات والمعارف الشعبية تنوعا كبيرا ، ولقد اتفق العلماء على أن أهم هذه الموضوعات هى : الأولياء — الكائنات فوق العضوية — السحر — الطب الشعبى — الاحلام — حول الجسم الانسانى — حول الحيوان — النباتات — الاحجار والمعادن — الاماكن — الزمن — الاوائل والاواخر — الاتجاهات — الألوان — الاعداد — الانطولوجيا — الروح — الطهارة (٢) .

ولا يمكن لباحث أن يجمع كل هذه الموضوعات فى مبحث واحد . وسنقتصر على دراسة بعض هذه الموضوعات بما يتفق مع موضوعنا .

١ — المعتقدات والدين الاسلامى :

تتصل المعتقدات والمعارف الشعبية فى الصومال اتصالا وثيقا بالدين الاسلامى وتعاليمه من جانب وبالثقافة العربية من جانب آخر ، ولقد دخل الدين الاسلامى بلاد الصومال عبر البحر الاحمر منذ القرن الأول الهجرى واعتنقه السكان عن ايمان ورغبة وليس عن طريق القتال أو الرهبة . وقد أدى انتشار الاسلام فى الصومال كعقيدة وثقافة الى توحد الشعب الصومالى فى أمة واحدة مع تعدد قبائله . ومع أن اللغة الصومالية الكوشية الاصل قد بقيت كلغة رسمية ، الا أن كل الكتابات

---

(١) يورى سوكولوف : الفولكلور « قضاياه وتاريخه » ترجمة حلمى شعراوى ، عبد الحميد حواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٧ .

(٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور — الجزء الثانى — الطبعة الأولى — دار المعارف القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .

تؤكد على تمسك شعب الصومال بالتعاليم والمبادىء الاسلامية والتشدد فى تطبيقها على مذهب الامام الشافعى .

ويحتفل الاهالى بالاعياد والمواسم الدينية بحماس واضح ويقيمون الولائم لاحياء المناسبات الدينية فى كل أرجاء الصومال . وهكـذا انتشرت الثقافة العربية الاسلامية بين ربوعه وظلت مزدهرة حتى الآن ، رغم وقوع الصومال تحت وطأة الاستعمار الإوروبى لثلاث دول مختلفة اللغة والثقافة هى فرنسا وايطاليا وبريطانيا ، التى حاولت كل منها بشتى الطرق طمس الثقافة واللغة الصومالية والقضاء على المعتقدات والمعارف الشعبية فى البلاد ، ولم يتأثر بهذه الغزوة الثقافية الا بعض سكان المدن والحضر ، بينما ظل سكان البادية (نحو ٨٠٪ من السكان يمارسون حياتهم الرعوية المعتمدة على رعى الجمال أساسا بنفس الطريقة التى كان عليها أجدادهم . وبذلك احتفظ التراث الشعبى الصومالى بطابعة المميز .

٢ ـ الطـرق الصـوفية :

يواظب الصوماليون على أداء شعائر الدين الاسـلامى ويطبقون تعاليمه فى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية . وتبدو النزعة الدينية واضحة عند أفراد الشعب وتبلغ نسبة المسلمين الصوماليين نحو ٩٩٪ من مجموع السكان ، ومن المظاهر الواضحة عند الصوماليين المواظبة على أداء الصلوات جماعة فى المساجد فى بساطة ودون أبهة وبدع .

وقد ساعد على انتشار الاسلام فى انحاء الصومال الجهود التى قامت بها الطرق الصوفية ويكاد يندرج تحت لوائها جميع أفراد الشعب الصومالى وبصفة خاصة الرعاة فى الشمال . ولهذه الطرق الصـوفية آدابها وأورادها التي يعتنقها الاتباع بكل ايمان ، كما تقام للاولياء المشايخ الذين أسسوها الموالد والاحتفالات فى طول البلاد وعرضها

وتتسم الموالد الدينية للاولياء بتلاوة القصائد والاشعار فى مدح آل البيت والائمة الصالحين ، ويلتف المريدون والاتباع حول حلقات الذكر التى تقام فى مختلف المناسبات •

وكما كانت للتنظيمات الدينية من خلال الطرق الصوفية الدور البارز فى انتشار الاسلام ، فقد كانت هذه التنظيمات من العوامل القوية التى أدت الى صمود الشعب الصومالى المسلم فى وجه المحاولات المتعددة للمستعمرين والمبشرين ، كما قامت العديد من المراكز الدينية والمساجد التى تدرس فيها العلوم الاسلامية فى طول البلاد وعرضها •

وأهم الطرق الصوفية [1] هى :

(أ) الطـرق القادرية :

وهى أول طريقة صـــوفية دخلت الى الصـــومال على يد مؤسسها عبد القادر الجيلانى (١٠٧٧ – ١١٦٦ م) الذى دفن فى بغــداد • وسار على نهجه اتباعه ومريدوه فنشروا الطريقة داخل البلاد ، ومنهم الشيخ ابراهيم جبرو ، كما أن انشأ الشيخ عويس بن محمد البراوى زاوية ومسجدا لها فى جوبا العليا فى قرية تسمى « تو جحله » حيث يقام مولده فى احتفال كبير يستمر لمدة ثلاثة أيام • ومن مشايخ الطريقة أيضا الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الشاشى فى مقديشيو ، والشيخ عبد الله يوسف القلنقوتى الذى قام بنشر الطريقة فى شمال الصومال فى مديرية مجرتين •

(ب) الطــريقة الاحمــدية :

وقد أسسها الشيخ « سيد أحمد بن ادريس الفاسى » المدفون فى بلدة عسير باليمن • وقد نشرها فى الصومال الشيخ على ميه درجبا ، وهو صومالى اكتسب شهرة عريضة وذاع صيته وعرف بصلاحه وتقواه • وتوفى فى مركة حيث دفن فيها وأقيم له ضريح هناك •

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صـــوماليا ، مكتبة السرق بالفجالة — القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٢٠٥ وما بعدها •

(ج) الطـريقة الصـالحية :

نسبة الى الشيخ « محمد بن صالح » • وبعد وفاته قام بنشر طريقته فى الصومال الشيخ « محمد جوليد » أحد تلاميذه ، وكان الشيخ صالح قد عينه خليفة للطريقة فى الصومال •

وهناك طرق صوفية أخرى أقل شهرة ومكانة ، مما يبين أن الطرق الصوفية قد شملت كل أجزاء الصومال وأن مشايخها بعد وفاتهم يحتلون مكانة عالية فى نفوس الشعب بصفتهم من الأولياء الصالحين •

٣ ــ الأوليــاء :

وبما أن الظروف الطبيعية من رياح وأمطار وغيرها ، تلعب دورا بارزا فى حياة الصوماليين ، فلابد أن يوجد فى المعتقدات ما يعكس قلق الناس وشعورهم بخطورة الظواهر الطبيعية ، وضرورة تواجد من يستطيع أن يمنع أو يدفع أو يقلل من تلك الاخطار المحـدقة بهم ، وقد يكون هذا الشخص فى صورة ولى أو تقى يعيشوا فى حمايته وينتفعوا ببركته ، وهذا ما يرويه المعتقد الآتى :

يعتقد الصوماليون أن الولى الشيخ عويس القرنى ــ وله مقام على شاطىء مقديشيو ــ يمنع طغيان البحر عن المدينة ، كما يعتقدون أنه يمنع أيضا هبوب الرياح الشديدة التى يعتبرونها علامة على قلة الامطار • وفى بداية موسم المطر من كل عام يذهب الصوماليون الى مكان وضريح الشيخ عويس وينحرون الذبائح وهم يرددون المقطع الأخير من دعاء الاستسقاء « استغفروا ربكم أنه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا » ثم يخرجون فى جماعات ويطوفون بشوارع مقديشيو وهم يرددون هذا الدعاء •

ومن هذه المعتقدات التى تتصل بالجمل ما يروى فى الاعتقاد المسمى « جشنى » وهو ينتشر بين سكان وسط الصومال وجنوبها • اذ ينظر السكان الى كومة من التلال بها احجار معينة على أنها مقدسة ويقولون

بأن هذه التلال هى أماكن هبوط الأولياء ، اذ أنه عندما حانت وفاة الولى « أوماد » أو « الشيخ محمد » وضع فوق جمله وسار الجمل حتى توقف عند هذه التلال ، ويعتقدون أن الجمل الذى كان يحمل جثمان الولى توقف عندما حان وقت الصلاة عليه ، ولم يستأنف الجمل سيره الا بعد أدى الاتباع الصلاة عليه •

واعتاد الناس كلما مروا على هذه التلال اضافة حجر ، وقد تنحر الذبائح تقربا للولى • وينسب الى الولى « أوماد » أنه يختص بحماية المحاصيل الزراعية ، اذ يستعين الزراع به لدفع خطر الطيور عن المحاصيل ، وذلك بأن يجمعوا حفنة من التراب من حول مقبرته وينثرونها فى الحقول •

ويتضح من دراسة المعتقدات والمعارف الشعبية فيما يتصل بالأولياء والمشايخ أن هناك مراتب أو طبقات • ولذلك تتفاوت منزلتهم عند الناس ، ويمكن تصنيفهم على النحو التالى : —

(أ) أولياء على المستوى القومى :

أى يحتفل بهم كل الشعب الصومالى ، وهؤلاء هم العلماء العرب الذين تركوا الجزيرة العربية فى وقت مبكر ، وهاجروا الى الصومال وبذلوا جهودا ملحوظة فى نشر الاسلام وتوجيه الناس الى تعاليمه السمحة ، ولذلك فقد جمعوا بين الدين والعلم فى آن واحد ، وبعد حياتهم الحافلة بالاعمال الجليلة دفنوا فى الاراضى الصومالية ، وأقام الناس لهم الاضرحة التى يزورها الاهالى كل سنة فى موعد وفاة الولى ، ومثال ذلك الشيخ « يوسف الكونين » التى تعد زيارة ضريحه من مظاهر الزيارات الشعبية السنوية فى الصومال • ويضاف الى هؤلاء الأولياء أيضا ، أئمة الطرق الصوفية مثل الشيخ عبد القادر الجيلانى المدفون فى بغداد •

(ب) أوليـــاء على المستوى القبلى :

وهم الأجداد الأول للقبائل الصومالية الكبيرة ، الذين أسهموا فى تأسيس القبائل الرئيسية ، وعلمـــوا اتباعهم مبادىء الدين الحنيف ووضعوا القواعد والاعراف لتنظيم شئون الناس وارساء مبادىء العدل والتحكيم بين فروع القبيلة المختلفة ، لذلك أقام لهم أفراد القبيلة بعد وفاتهم أضرحة فى أماكن استقرار هذه القبائل يزورها الناس كل سنة احتفاء بهم واحياء لذكراهم •

(جـ) أوليـــاء على مستوى العشيرة :

عندما يتولى أمر العشيرة أحد الأفراد المشهود لهم بالعدل والالمام بشئون الدين وتطبيق أحكام الشريعة فى مجالس الحكم ، فان أفـــراد عشيرته ينظرون اليه نظرة اجلال واحترام ، وبعد وفاته يرفعونه الى مرتبة الأولياء الصالحين • وتخليدا لذكراه يقيمون له ضريحا بالقرب من مكان العشيرة حيث يزورونه كل عام فى احتفال مهيب •

٤ ـــ التقويم وظاهرة التفاؤل :

يستخدم الصوماليون نوعين من التقويم احدهما شمسى والآخـــر قمرى • وفائدة التقويم الشمسى تحديد مواعيد الفصلين المطيرين وهما فصل الربيع أو جو Ju وفصل الخريف داير Dayer ومعرفة هـــذا التقويم هام عند زراع الجنوب الذين يعتمـــدون عليه لتحـــديد بدء زراعاتهم • كما أنه هام لرعاة الشـــمال الذين يســـتعينون به لتنظيم هجراتهم وتحركاتهم نحو المراعى الجديدة •

وظاهرة التفاؤل والتشاؤم تتضح فى تفضيل أيام بعينها يتفاءل بها الناس دون البعض الآخـــر •

وحيث أن التقويم القمرى يعتمد على منازل النجوم فى الســـماء بالنسبة للقمر ، فان هذه المنازل تعكس اعتقاد الناس فى الصـــومال لظاهرتى التفاؤل والتشاؤم ، وعلى عكس انتشار الظاهرة عالميا بالتشاؤم من الرقم ١٣ ، فان المنزل الثالث عشر ويسمى « العواء » يعتبر من

حسن الطالع عن سكان مجرتين الذى يسمونه« در رضى » وكذلك عند سكان منطقة الاوجادين ويسمونه « ناسو جيلى » • أى صدر الجمل كما يتفاءل به سكان بنادر ويسمونه « كوجدن » • أما المنزل السادس فى فصل جو يسمى « جج مدو » أي جج الاسود ويعد شؤما (١) •

ومن مظاهر التفاؤل والتشاؤم تجنب الزواج فى شهور معينة ، ويستعين الناس برجال الدين لعمل الاستخارة عن طريق المسابح لتحديد أى الأوقات تعد فألا أو شؤما بالنسبة لهم عندما يعتزمون ابرام أمر من الأمور أو يقدمون على أى عمل كالزواج أو السفر •

وهناك علاقة وثيقة بين البيئة أو النشاط الاقتصادى الممارس وبين ظواهر كالتطير أو الفأل الحسن أو السىء • فحيث أن الناس فى شمال الصومال تعمل أساسا بالرعى وبخاصة رعى الجمال فان اللبن يعد من الاطعمة المقدسة أو المفضلة ، ويقال أن سلطان مجرتين فى الماضى كانت مراسم توليته تتضمن صب اللبن فوق رأسه لاكسابه الصبغة المقدسة التى تتناسب مع منصبه • أما فى الجنوب حيث تسود الزراعة فلا ينظر للبن هذه النظرة • ولكن كانت بعض القبائل فى الجنوب التى تمارس الزراعة تنثر التراب عند تنصيب الزعيم أو الحاكم ، باعتبار التراب من التربية الزراعية وهى مصدر الخير والنماء والرزق •

واستطرادا لدور البيئة فى تشكيل المادة الفولكلورية فيما يتصل بالمعتقدات والمعارف الشعبية نود الاشارة الى ظهـور « الزار » — يسمى فى الصومال « سار » — فى كل من مصر الزراعية وجنوب الصومال الزراعى ، ولا تختلف طقوس الزار فى الشكل والمضمون والوظيفة فى كل من مصر والصومال الا قليلا ، بل يوجد أيضا فى السودان وبلدان أخـرى •

وطبقا لنظرية الانتشار الثقافى ، فانه من المحتمل أن يكون قد وجد فى مركز معين ومنه انتقل الى بقية المراكز والبلدان • وتقول بعض

---

(١) نفس المرجع ، ص ٤٤ •

الكتابات (١) أن الزار معبود وثنى قديم تحول فى المسحية والاسلام الى روح شريرة ، ويرجع الزار فى منشئة الى قبائل الأجاو الحامية التى تسكن اريتريا ، وقبل انتشار الاسلام بينهم كانوا يسمونه جار « وهم اسم اله السماء عندهم » ، ومن هؤلاء الاجاو انتقل الزار الى الاحباش الذين سموه « زار » بلغتهم الامهرية وعن الاحباش أخذه الجالا الذين ادخلوه الى الصومال •

وتذكر دائرة المعارف الاسلامية أن الزار انتقل الى الحجاز على يد العبيد الاحباش ابان تجارة الرقيق ، ودخل مصر فى القرن التاسع عشر ويرجح أنه نقل اليها من السودان •

وبذلك تصدق المبادىء النظرية التى صاغها عالم الفولكلور الدكتور محمد الجوهرى — والتى وردت فى مقدمة هذا الفصل — من أن المعتقدات والمعارف الشعبية كانت أصلا معتقدات وثنية ومرت عبر العصر الاسلامى والمسيحى قبل أن تتحول فى صدور الناس الى اشكال أخرى جديدة بفعل التراث الكامن على مدى الاجيال •

وتجرى طقوس الزار فى الصومال عادة داخل بيت الضحية (من تدعى أن عليها أسياد) بعد أن يفرش بفاخر الرياش والابسطة ، وتقفل النوافذ بأحكام لابعاد « الهواء الخبيث » أو أعين الذكور حيث تتصاعد أعمدة هائلة من دخان البخور فى كل أركان الغرفة المعتمة الاضاءة ، ويختنق الكل الا المريدين الذين تعودوا على هذا الجو •

أما ضحية الزار فتجلس فى منتصف الغرفة متدثرة بوشاح شفاف ، وشعرها يتساقط على وجهها وكتفيها ويحيط بها أفراد الكورس وقد يكون من الجنسين • فاذا افترض أن جسم الضحية يسكنه أحد الارواح وليكن « الواد هوبيه » تترنم « العقلد » التى تتزعم كل طقوس الزار كما يلى :

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٢٤ .

واد هوبيه يريد .

نعجة بعلامة سوداء على رأسها .

تمتد الى اسفل حتى اثرائها (قربانا للضحية) .

وكوخا مريحا بستائر كثيفة .

وديوالى من حرير (حزام مزركش على خصر السيدات) (١) .

ثانيا : العادات والتقاليد الشعبية

العادة — فيما يتصل بتعريفها — ظاهرة اساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية الانسانية ، هى حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعى نصادفها فى كل مجتمع وتؤدى الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة ، عند الشعوب البدائية ، كما عند الشعوب المتقدمة ، عند الشعوب فى حالة الاستقرار ، وفى حالات الانتقال والاضطراب والتجول ، وهى موجودة فى المجتمعات التقليدية التى يتمتع فيها التراث بقوة قاهرة وارادة مطلقة ، كما انها استطاعت ان تحافظ على كيانها ووجودها فى ظل مجتمعاتها العلمانية المتطورة ، وابتكرت لذلك عديدا من الاشكال والصور الجديدة التى تناسب العصر (٢) .

أما اذا نظرنا الى المجالات التى تمارس فيها العادات ووظائفها ، فنجدها متعددة ومتنوعة أشد التنوع فهى تشمل العالم غير الانسانى وفوق الانسانى ، كما تشمل حياة الانسان نفسه البيولوجية والاجتماعية على السواء (الميلاد ، الموت ، الزواج ، العلاقات مع الجيران ، المجتمعات المحلية ، القرية ، والمدينة .... الخ) كما تشمل مجالات الزمن أو تعطى حدود الزمن (كالمناسبات المرتبطة بتتابع العام سواء

---

(١) وزارة الاعلام والارشاد القومى : الثقافة والفنون فى الصومال ، مقديشيو ١٩٧٤ ص ٢٠ .

(٢) محمد الجوهرى : علم الفولكلور — الجزء الأول — ص ١٠٦ .

أكان تقويما شمسيا أو قمريا والمواسم وفترات الانتقال ، والاوقات الحرجة ، والتاريخ والذكريات ... الخ . فاذا نظرنا الى وظائف العادات فى جملتها وجدنا صورة كاملة للحياة تعطى بهاءها وتضفى عليهـا شرعيتها ومعناها (١) .

وهناك ثلاث مجالات رئيسية يمكن ان تدور حولها العادات والتقاليد الشعبية عند أى شعب من الشعوب وهى عادات تتصل بدورة حياة الفرد وعادات تتصل بالاعياد والمناسبات وعادات وتقاليد ترتبط بمركز الفرد فى المجتمع . وسنحاول ان نطبق هذه المجالات على المجتمع الصومالى مع ابراز دور الجمال فى كل منها .

تشمل الجمال حيزا كبيرا فى مجال العادات والتقاليد الصومالية ، وترتبط بدورة حياة الفرد كلها من الميلاد حتى الوفاة .

١ ــ عادات الميلاد والتسمية :

يعد ميلاد الطفل مناسبة هامة يحتفل بها الأهالى وبصفة خاصة اذا كان المولود ذكرا . فتطلق الزغاريد وتنشد الاغانى وتقام حلبـات الرقص . كما يتفاؤل الصوماليون بولادة الاطفال التوائم ويعتبرونها حدثا غير عاديا يدعو الى البشر والسرور والفأل الحسن .

ومن العادات المتصلة بواقعة الميلاد ، انه عندما يولد الطفل تقوم النساء بربط حبله السرى ببعض من ذيل احدى اناث الحيوانات الحلوبة، وغالبا ماتكون ناقة حلوبة ، فاذا لم يتيسر فبقرة أو ماعز ، ويخصص الحيوان الحلوب الذى أخذ الشعر من ذيلة لامداد الطفل باللبن اذا لم يكن لبن الأم كافيا . ومن العادات المتصلة بالتسمية ان أسم المولود له دلالة عقائدية كبيرة لدى الاسرة ولا يطلق الاسم بمجرد الميلاد ولا ينفرد بالتسمية الام أو الاب ولكن لابد من استشارة أحد رجال الدين فى تسمية المولود

---

(١) نفس المرجع ، ص ص ١١٠ ــ ١١١ .

ويقوم رجل الدين باداء بعض الطقوس والممارسات التى من شـأنها التعرف على مدى التوافق بين التسـمية المختارة والظروف العامة • ويلجأ الناس الى مثل هذه الاسـتشارة الدينية للتفاؤل وجلب الحظ السعيد للمولود وأسرته ووسيلة لنوال البركة بصفة هذا الشيخ اعلم بأمور الدين منهم • وهنا تظهر أيضا مدى تأثر العـادات والتقاليد فى الصومال بالناحية الدينية الاسـلامية ومدى احترام الاهالى لرجال الدين •

وبعد اختيار اسم المولود يقام احتفال يحضره الاقارب والجيران حيث تذبح الذبائح ابتهاجا بهذه المناسبة • كما تقدم للمولود بعض الهدايا ، وفى بعض الاحيان يقدم للطفل جمل صغير كهدية ، ينضم الى قطيع الاسرة ، عندما يكبر الطفل يعرف بأن هذا الجمل جملك ، يقال ان من هذه الهدية قد يكون المرء قطيعا كاملا يتعهده بالرعاية والعناية داخل قطيع الاسرة ، حتى ينفصل الشاب بقطيعة عندما يتزوج •

وتعد تربية الاطفال من الواجبات الهامة التى يعطيها الوالدان عناية خاصة ، وخلال طفولتهم قد تعجز الام عن ارضاع طفلها فى عامه الاول أو أقل بسبب عدم كفاية اللبن المتاح للصغير أو اذا كانت الام مريضة مثلا •• ومثل هذا الطفل يمكن أن يعيش لو تناول لبن الحيوانات بدلا من لبن الام • وفى مثل هذه السن الحرجة فان أفضل لبن للطفل هو لبن الجمال لان الحيوانات الاخرى لا يمكن الاعتماد على لبنها فى أى وقت ، وهذه الحالة تصورها اغنية العمل التالية : ـ

أيها الطفل السـائر على أربع
الذى لا يعـرف الا والديـه
أن الجمل هو الذى يربيك (١)

---

(١) Abokor, A. Cali : The Camel in Somali Oral Tradition, Scandinivian Institut of African Studies, UPPSALA, 1987, P. 6.

ومن هـذا الوقت المبكر فى الطفولة تنشـأ العلاقة بين الاطفال والحيوانات الرعوية ، وتتولد لدى الطفل الصومالى نزعة عاطفية نحو الجمال تستمر معه طوال حياته ، ومن هنا تتولد المشاعر والاحاسيس التى نراها واضحة لدى الشعب الصومالى لتعكس مدى حبه واعتزازه بالجمال ، يعبر عن هذا الحب وتلك العاطفة شعرا أو نثرا أو اغنية أو أى شكل آخر من أشكال التعبير •

٢ ــ التنشئة الاجتماعية ومعسكرات الجمال :

عندما يصل عمر الاطفال الى نحو ٩ أو ١٠ سنوات فانه يتم الفصل بين الجنسين فى المبيت والعمل ، فتنضم البنات لجماعة النساء للمساعدة فى رعى الغنم والماعز وتعليم شئون البيت والعناية بالاطفال ، بينما يرسل الفتيان مع اخوانهم وأبناء عمومتهم للانضمام الى شباب الرعاة فى معسكرات الجمال •

ويتألف المعسكر من مكان متسع فى الصحراء ويحيط به سور خارجى من الشوك الغليظ بهدف حماية الجمال من الحيوانات المفترسة • وداخل هذا السور المحمى تبنى فواصل لمبيت القطيع ، ويقسم المعسكر بعدد الرعاة المشتركين فيه ، وفى وسط المعسكر يخلى مكان نظيف لينام الرعاة ، وقد يضم المعسكر الواحد خمسة أو ستة قطعان من الجمال ، ويتألف كل قطيع من حوالى ١٠٠ جمل •

وعادة يكون الرعاة المشتركين فى معسكر واحد من الاقارب العاصبين ذوى النسب الابوى حتى يتعاونوا كجماعة قرابية فى رعى وسقاية جمالهم ، وهذا يعكس الطابع العاصب لوجدات رعى الجمال ويرتبط تقليديا بدور الجمال فى المجتمع الصومالى • فمع أن كل فرد من شباب الرعاة ــ المشتركين فى المعسكر ــ يمتلك القطيع الذى يرعاه ملكية فردية ، الا أن البدنة تنظر الى ابل أعضائها كملكية جماعية •

ويتعلم الفتيان فى معسكرات الجمال بعيدا عن أحضان الوالدين كل مبادىء الحياة الرعوية وما تتطلبه من الصبر والجلد ، ففى هذه

المعسكرات تتميز الحياة بأنها قاسية وجافة ، ولا يقدر عليها الا الشبان الاقوياء ، وحيث أن هذه المعسكرات تقام بعيدا عن المساكن ، فان الجمال تكون فى رعاية وحوزة شباب الرعاة غير المتزوجين ، وقلما يخرج الرجل المتزوج معهم الا فى أحوال نادرة •

ولبن الجمال يكاد يكون هو الطعام والشراب الوحيد المتاح دائما لكل سكان المعسكر ويعتمدون عليه بشكل مطلق اذ نادرا ما يوجد ماء للشرب • وفى الفصول الجافة عندما يشح اللبن بسبب قلة عدد الجمال الحلوبة فان القاعدة المتعارف عليها هى أن يقسم اللبن المتاح على كل الرعاة فى المعسكر ، بغض النظر عن كمية اللبن المحلوب من قطيع شخص بعينه • وعادة يشرب صغار الرعاة وجه اناء اللبن أولا بصفتهم فى مرحلة التكوين الجسـمى •

وتتجسد معانى التكافل والتضامن الاخوى جماعة المعسكر لمعيشتهم معا حياة مشتركة فى السراء والضراء ، وتتجلى مظاهر هذه الوحـدة الرعوية فى أوقات الشدة عندما يعم القحط وتندر المياه وتقل المراعى ، حينئذ ينتقل الرعاة دائما من والى الآبار لسقي جمالهم تعلوهم الاتربة ويشرد ذهنهم وليس لهم أكواخ أو مأوى تحميهم من قسوة الطبيعة • ومما يعزز مشاعر الاخوة بين شباب الرعاة كبارا وصغارا فى حياة المعسكر ، أنهم جميعا ينامون على فراش واحد مصنوع من الحشائش ويقع وسط المعسكر حيث يحرسون الجمال ويتسامرون ، ولذلك فهم يدعون « رفاق الحصيرة Ordaa Waddag » وذلك تعبيرا عن وحدة جماعة المعسكر التى هى انعكاس لوحدة البدنة •

ولكن رغم هذه الوحدة فان كل شاب يهتم بقطيعه من الجمال ، وعلى ذلك فهم يجمعون بين التضامن الاقتصادى الجماعى والاهتمام فى الوقت نفسه بمصالحهم الشخصية •

ولذلك يضرب المثل الصومالى الآتى :

« ان الجمال مشاعة بين الرعاة ولكن لكل منهم قطيع منفصل » (١) ٠

٣ ــ عادات وتقاليــد الــزواج :

لكل مجتمع عاداته وتقاليده فى الزواج تتفق مع الظروف الاجتماعية والثقافية ٠ ويمكن القول أن عادات الزواج تعكس الى حد كبير معايير وقيم المجتمع بما تتطلبه من شروط وما تضعه من اجراءات عند تكوين الاسرة ٠ ولذلك فهى تزخر بقدر هائل من الميراث الثقافى الذى تكون جيلا بعد جيل ورسم الممارسات والاجراءات التى تتبع منذ التفكير فى الزواج حتى انجاب الاطفال ٠

ويتجمع أفراد المجتمع خلال الحركة الرعوية القصيرة حول المقرات السكنية (الحلات) ، ويحدث هذا فى فصل الربيع حيث تتاح الفرصة للاختلاط الشبان والشابات بعد الانتهاء من الاعمال اليومية المعتادة ، وفى المساء يتسامر الشباب من الجنسين ويمرحون ويغنون ويشتركون معا فى حلقات رقص جماعية ، كما يتفاخرون فى أغانيهم بثروتهم الكبيرة من القطيع وانتسابهم الى بدنات قوية ، ومثل هذه اللقاءات الجماعية تمكن الفتى من اختيار الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، فاذا استقر رأيه عليها من حيث الشكل فهناك معايير أخرى توضع فى الاعتبار قبل المضى قدما فى اجراءات الخطبة ، مثل مركز أهل الفتاة الاجتماعى ومقــدار ثروتهم وغير ذلك من الاعتبارات التى يقررها كبار العائلة ، اذ أن اختيار القرين ليس قرار الفرد وحده ، فالوالدان والاقارب وبخاصة الاقارب العاصبون يمارسون اشرافا على كافة الامور المتعلقة بالزواج وتكوين الاسر الجديدة ، لان الزواج لا يربط الزوجين فقط ، ولكنه يؤسس علاقة جديدة وهامة بين البدنتين المتصاهرتين ينعكس أثرها ــ كما سيتبين فيما بعد ــ فى كل نواحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ٠

---

(١) Lewis, I.M. : Pastoral Democracy, Op. Cit., P. 74.

وتبدأ اجراءات الخطبة بأن يقوم أحد كبار عائلة الفتى بالاتصال بأهل الفتاة كخطوة أولية للتعـارف وابداء الرغبة فى المصـاهرة بين العائلتين ، فاذا قبل طلب الزواج ، يناقش الطرفان اجراءات الخطبة ومدفوعات الزواج وفى مقدمتها هدية الخطبة « جباتى Gabbaati » وتدفع عادة من القطيع فى المناطق الرعوية أو نقدا فى المراكز الحضرية • وبعد تقديم هذه الهدية تعلن الخطبة على الناس ويمتنع أهل الفتاة عن قبول عروض زواج أخرى لابنتهم والا دفعوا تعويضا لاهل العريس • كذلك يفقد العريس مدفوعات الخطبة اذا تأخر عن اتمام باقى اجراءات الزواج فى المواعيد المتفق عليها بين الطرفين •

ويعرف المهر فى الصومال باسم « ياراد Yarad » ويتكون من مدفوعات وهدايا الخطبة التى يقدمها أهل العريس وما يتلوها من هدايا ومدفوعات تتشكل فى مجموعها مهر العروس • وعادة يتوقف مقـدار المهر المدفوع على درجة ثراء العريس وعائلته ، وتمثل الجمال أعلى قيمة اجتماعية تدفع كمهر وكلما زاد عدد الجمال فى هذا المهر كلما زاد مقدار الاحترام الذى يلقاه الشخص المقبل على الزواج من أصهاره ، كما ترتفع أيضا منزلة العروس التى يدفع لها مهرا أكبر من الجمال • ورغم أن المهر يشمل أيضا عددا من الماعز والغنم الا أن الجمال تعد هى العنصر الهام فى مكونات المهر ، وحول عددها وأنواعها يدور النقاش والجـدل بين العائلتين المتصاهرتين حتى يصلوا الى اتفاق يرضى الطرفين •

وبجانب المهر المتفق عليه ، يساهم أهل الفتاة بمدفوعات أخـرى تسمى « ديباد Dibbad » وهى عبارة عن هدايا للعروسين من أهل الزوجة وتشمل الجمال الحلوبة وجمال الحمل كما تضم أيضا مقومات المعيشة الرعوية المستقلة (عش الزوجية) مثل الحصير والجلود وكل اجراء الكوخ المتنقل ومفروشاته من الداخل بالاضافة أيضا الى عدد من الغنم والماعز • وما لم يكن الفتى مستقلا من الناحية الاقتصادية فان الجزء الاكبر من المهر يساهم به والده بالاضافة الى قطيع الفتى

نفسه الذى نماه من نســل قطيع صغير اهــدى اليه عند الميــلاد • أما المساهمات الاخرى فى المهر فيساهم بها أقاربه العاصبين وأيضــا أقاربه المصاهرين فان المهر المدفوع لها يضاف الى قطيع والدها ، وجزء صغير منه يوزع على نفس مجموعة الاقارب الذين يساهمون فى مهور شباب العائلة (١) •

والهدف الرئيسى من هذه الهدايا هو امداد الزوجين بمستلزمات منزل الزوجية ، وعدد كاف من الغنم والماعز والجمال لتأسيس وحدة رعوية مستقلة سرعان ما تنمو لتصبح قطيع كبير يمكن الاسرة من القيام بالتزاماته وواجباته نحو أقاربه الذين ساهموا فى مهره وهكذا تمضى الحياة الرعوية بين أخذ وعطاء • ولذلك فان منزل الزوجية ومتعلقاته هو هدية من أهل الزوجة لصهرهم الجديدة • وتتم احتفالات الزفاف عند أهل العروس وعلى نفقتهم ويمكث العروسان بضعة أشهر أو حتى انجاب الطفل الاول قبل أن تنتقل الزوجة وبيتها الجديد وقطيعها الى الاقامة عند أهل الزوج فيما يعرف بالاقامة الوالدية •

ولما كانت النظم الاجتماعية ــ فى أى مجتمع من المجتمعات ــ تنبع من الخصائص البنائية للمجتمع الذى توجد فيه ، فان نظام الزواج يوظف لحفظ وتماسك المجتمع الصومالى ويتوافق مع الثقافة الرعوية السائدة • ويمكن التعرف على نمط الزواج المفضل والوظائف الاجتماعية التى يحققها من خلال تحليل العلاقات المتبادلة بين النظم الاجتماعية والحياة الرعوية •

يقوم التنظيم الاجتماعى للقبائل الصــومالية على أساس توزيع الاراضى الرعوية على العشائر والبدنات داخل اقليم القبيلة ككل • أى أن هناك تناظر بين الاراضى الرعوية والوحدات القرابة العاصبة

---

(١) Lewis, I.M. : The Northern Pastoral Somali of the Horn in Gibbs, J. (People of Africa Holt, R. and Winston N.Y. 1965, P. 340.

فى كل إقليم وعلى عكس كثير من المجتمعات العربية يســود المجتمع الصومالى نمط الزواج الاغترابى أو الاكسوجامى ، وهو يقضى بأن يتزوج الفرد من خارج العشيرة أو حتى القبيلة • حيث لا يفضــل أفراد المجتمع الزواج من أبناء أو بنات العمومة أو الخؤولة المتوازية Parallel-Cousin Marriage أو المتقاطعة Cross-Cousi- Marriage لا يفضلون الزواج من داخل العشيرة أو القبيلة وهو ما يعرف بالزواج الداخلى أو الاندوجامى • ويرى الناس أن الزواج الاكسوجامى كنمط مفضل فى المجتمع الرعوى يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية •

فمن الناحية السياسية يؤدى التصاهر بين قبيلتين الى تحالفهما ضد الاعداء الخارجين ، كما يقلل من حدة الصراع والتنازع على أراضى المراعى ، وهذا فى حــد ذاته يوفر الحماية والامن لافراد العائلات والقبائل خلال غياب اعضائها الرعاة عندما يرحلون بعيدا عن أوطانهم بحثا عن المراعى الخضراء ، أو الموارد المائية • ومن مجموع القبائل المتصاهرة عن طريق الزواج الاكسوجامى تتكون جبهة سياسية متحدة تضم مئات بل آلاف الافراد فى اقليم أو منطقة معينة يمكنها أن تقوم بدور فعال فى الضبط الاجتماعى وهو ما لا تستطيع أن تقوم به عائلة بمفردها أو حتى قبيلة بعينها •

ومن الناحية الاقتصادية يعد التصاهر بين قبيلتين امتدادا للاراضى والمراعى التى يملكها كل منهما ، وتبدو أهمية هذه الوظيفة الاجتماعية فى البيئات الرعوية أكثر منها فى أى بيئة أخرى • ذلك أنه اذا حــدث جفاف أو قحط فى منطقة معينة فلابد أن يرحل سكانها خارج هذه المنطقة الى منطقة أخرى ، فاذا كان الفرد متزوجا من نفس قبيلته المقيمة فى نفس المكان فلن يجد أصهارا يلجأ اليهم ، أما اذا كان متزوجا من قبيلة أخرى بعيدة فانه يجد أمامه فرصة أفضــل للنجاة بقطيع ابله ومواشيه خارج أرض قبيلته التى أصابها الجفاف أو قلت بها الامطار ،

وأول الاماكن التى يفكر فى الرحيل اليها هى أرض أصهاره ، وعلى هؤلاء الاقارب بالمصاهرة أن يستقبلوه وأفراد عائلته والا اعتبر ذلك عارا عليهم •

وعندما يصيب القحط أو يقل الطعام عند أحد الرعاة فكثيرا ما يرسل زوجته الى أهلها لكى تمده بالمساعدة والطعام اللازم وهذه عادة متبعة بين أفراد القبائل المتصاهرة ، بل أن أصهاره يغضبون منه اذا طلب المعونة من أحد غيرهم ، وهو بدوره سيقوم بنفس الدور عندما يطلب منه ذلك • وتعد هذه الوظيفة الاجتماعية فى الزواج الاكسوجامى بمثابة تأمين اقتصادى ضد الكوارث والنكبات التى تصيب غالبا أعضاء المجتمعات الرعوية وتعرضهم للمجاعة والقحط بين الحين والآخر •

ومن الناحية الاجتماعية فان رعاة الابل فى الصومال قد نما لديهم الادراك بأن الزواج من داخل القبيلة يؤدى الى اضعاف النسل واصابته بكثير من الأمراض ، وقد لاحظ الراعى هذه الظاهرة بفطرته ومتابعته المستمرة للقطيع ، ولذلك نراه يختار لناقاته عند تلقيحها جملا قويا من قطيع آخر حتى يضمن نسلا صحيحا خاليا من الأمراض • كما أن أفراد المجتمع ينظرون الى أبناء وبنات العم والخال والعمة والخالة على أنهم أخوة وأخوات ولذلك لا أفضلون التزاوج بينهم ، ويعللون هذا الاتجاه بأن الزواج من بنات العم لا يضيف دما جديدا الى العائلة، كما أن الزواج من داخل القبيلة له مخاطرة على العلاقات القرابية القائمة، فلو حدث خلاف بين الزوجين وأدى ذلك لوقوع الطلاق فقد يحدث تفكك فى محيط القبيلة الواحدة يؤدى بدوره الى شقاق وخصام بين اعضائها مما يضعف من تماسكها ووحدتها فى مواجهة الجماعات الاخرى المواجهة لها •

وحرصا من المجتمع على ابقاء العلاقات الاجتماعية بين القبيلتين المتظاهرتين اكسوجاميا قائمة ومستمرة فى تحقيق الوظائف الأساسية لهذا الزواج ، فان العلاقات الصهرية تستمر طوال حياة الزوج والزوجة

وحتى بعد وفاة أى منهما ، ولذلك يمارس المجتمع الصومالى ما يعرف فى الكتابات الانثربولوجية باسم الزواج الليفراتى Levirate Marriage أو زواج الأرملة ، وأيضا الزواج السروراتى Sororate Marriage أو الـزواج من أخـت الـزوجة المتـوافاة • ويقـع على أهـل الزوج أن يبحثوا عن شخص قريب للزوج ويفضل أخو الزوج المتوفى لكى يتزوج هذه الارملة ويتكفل بها وبأولادها من زوجها الاول • والفكرة الرئيسية التى يراها أهل الصومال فى ابقاء الارملة فى كنف ورعاية أهل الزوج هى أنها لو تزوجت من خارج القبيلة فقد يتربى أولادها فى كنف قبيلة معادية • وعندما يكبرون قد يشتركون فى صراع أو نزاع ضـد قبيلتم دون أن يدركوا ، لذلك يرى المجتمع أن أخوة الزوج المتوفى أحق من غيرهم بهذه الارملة التى تزوجت أحد رجالهم ودفع فيها مهرا من الابل وغيرها من الماشية وهو ماساهم معظم أفراد البدنة فى دفعه وجمعه •

ونفس الفكرة تنطبق أيضا فى الزواج السروراتى وهو امداد الزوج بقريبة لزوجتة المتوفاه ويفضل أختها حتى تربى الابناء وترث المسكن وقطيع الغنم والماعز وبذلك تستمر العلاقات الاجتماعية بين العائلتين المتصاهرتين رغم وفاة أحـد أطراف الزواج • (١)

٤ ـــ عادات الدفن والحداد :

تتفق عادات الدفن والحداد عند الصوماليين مع التعاليم الاسلامية الشرعية ، وتتسم مراسم الوفاة بالبساطة والبعد عن المغالاة فى الحزن والاسى ايمانا ورضاء بقضاء الله • وبعد اعلان الوفاة يتقبل أهل المتوفى العزاء من الاقارب والاصدقاء فى هدوء ووقار ، كما يشيعه الى القبر الحاضرون من الاهالى والجيران • وعند القبر يقرأ القرآن الكريم

---

(١) توفيق الحسينى عبده : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية فى الصومال ، الندوة الدولية للقرن الافريقى ـــ معهد الدراسات الإفريقية ـــ جامعة القاهرة ـــ يناير ١٩٨٥ ـــ ص ٩٥٠ •

وتوزع الصدقات من لحم الضحية على الحاضرين والقائمين بالدفن ترحما على روح المتوفى •

فاذا كان المتوفى قد مات مقتولا وقبلت أسرته الدية من الجمال • فان دفع الدية لا يبرأ ذمة أسرة القاتل ، اذ يجب عليهم لاتمام التراضى أن يذبحوا ناقة عند قبره توزع على الحاضرين ، باعتبار الناقة هى أثمن مـــا يقدم كضحيـــة وفداء وتفكير عما ارتكبه قريبهم من اعتداء على شص القتيل • ولا يعادل الناقة فى هـــذه الحالة أو الترضية أى حيوانات أخرى مهمـــا كان عددها • كما أن ذبح الناقة على القبر واهدار دمهـــا تعد ترضية لروح القتيل وأهله بأن دمه لم يذهب سدى ، بل كلف اسرة قاتله أغلى شىء يمتلكونه بعد الرجال ، وبذلك يحدث التوازن والتوازى بين اسرتى الجانى والمجنى عليـــه •

وكثير من الشعوب ترتدى أزياء معينة أو ذات لون أسود كعلاقة على الحزن ، أما فى الصومال فان ملابس الحداد تقتصر على الزوجة وتكون هذه الملابس ذات لون أبيض • وتستمر فترة حداد الزوجة مدة ١٣٠ يوما ، فاذا لم تكن الزوجة قادرة على شراء ملابس الحـــداد البيضاء فيكفى أن تربط رأسها بعصابة بيضاء •

وهناك بعض القيود والتحريمات على الزوجة طوال فترة الحداد ، فلا يجب عليها أن تمشط شعرها الا يوم الجمعة ، وتبتعد تماما عن مظاهر الزينة أو استعمالها فلا تستخدم العطور ، أو الدهون المعطرة ، كما يجب عليها ألا تلمس الطعام بل تستخدم عند الاكل الملعقة الخشبية ، وتتجنب أيضا أى مكان مجلس فيه الرجال •

٥ ـــ تقاليـــد التحـــكيم (الحير) :

ومن أهم التقاليد المتوارثة وبخاصة بين القبائل البدوية مجموعة من الاعراف القبلية لها قوة القانون وتخضـــع لها جميع القبائل على اختلافها وتقبل أحكامها ، ويطبق العرف القبلى المعروف باسم « الحير »

فى المنازعات التى تنشأ بين الجماعات أو القبائل مثل الحروب القبلية التى قد تنشأ نتيجة النزاع على المراعى أو موارد المياه أو الاخذ بالثأر ودفع ديات القتلى وفى التعويض عن الأضرار الجسيمة والأدبية وفى المسائل الشخصية التى تتعلق بالحقوق والواجبات الزوجية وعند الطلاق أو وفاة أحد الزوجين .

ويلاحظ أن الجمال هى العملة الوحيدة المقبولة لتطبيق أحكام « الحير » التى يرتضيها الجانب المتضرر لفض النزاع والتصالح مع الطرف الآخر وانهاء الخصومة . ولكن يختلف عدد الجمال المدفوعة حيرا من مشكلة لأخرى . ويعد هذا جزاءا رادعا لأن ما يؤلم الراعى أن يؤخذ ابله التى يعتبر بها وتعطى لشخص آخر . ولذلك فان دفع الديات بالجمال (مج) تجعل المرء يفكر كثيرا قبل أن يقدم على أى فعل أو جريمة من شأنها أن تفقده أعز وأغلى ممتلكاته ، مما يؤدى فى النهاية الى تحقيق الأمن واستتباب النظام فى المجتمع .

ولزيادة تحقيق الضبط الاجتماعى فان من قواعد تطبيق الحير أن الشخص ليس مسئولا وحده عن جريمته ، بل يشاركه المسئولية ودفع الدية أيضا أقاربه العاصبون بصفتهم مسئولون عن تصرفات قريبهم ، كما أن مقدار الدية قد يكون كبيرا بحيث يجرد الجانى من كل ما يملكه من جمال يعتمد عليها فى معيشته ولذلك تتضامن الأسرة والقبيلة فى جمع الجمال لدفعها كدية للمجنى عليه . وتتوزع نسبة الدفع بأن يدفع أفراد قبيلة القاتل ٢/٣ الدية ، بينما يدفع الثلث الباقى القاتل وأسرته . الا أن مقدار الابل المدفوعة للدية يختلف من قبيلة لأخرى ، كما يختلف تبعا لمنزلة القتيل ومركزه الاتماعى . وكقاعدة عامة تقدر الديات والتعويضات كالآتى : —

١٠٠ جملا للرجل البالغ .

٥٠ جملا للمرأة سواء أكانت حاملا أم لا .

٥٠ جملا للعين المفقودة أو اليد أو الرجل المقطوعة •

٢ جملا للسن المفقودة أو الاضرار المشابهة •

وتتم الترضية بين العائلتين بأن تذبح أسرة القاتل ناقة عند قبر القتيل وتوزع لحمها على الافراد الموجـــودين وقت الدفن وذلك فى الشمال ، أما فى فى الجنوب فتذبح شاه ثم تقدم الدية على دفعات •

ويسمى لويس Lewis ، الاقارب المشاركين فى دفع الدية بجماعة دفع الدية Dia Paying Group لأن هذه الجماعة التى تدفع اذا كانت من ناحية الجانى ، هى أيضا التى تأخذ اذا كانت من ناحية المجنى عليه ، لأن الدية لا تعطى كلها لأسرة القتيل ، بل لا يزيد النصيب المقرر لها عن عشرة من الابل ، وباقى الابل توزع على أفراد القبيلة •

ومع أن الحروب فى القبيلة كادت تختفى بسبب جهود السلطات الحكومية فى نشر الامن وحفظ النظام فى المجتمع ، وأيضا بسبب زيادة وعى الناس وتخليهم عن العصبية القبلية التى كانت سائدة من قبل • الا أن أحكام الحير لازالت واجبة التطبيق اذا دعت الحاجة اليها •

ويعرف العرف القبلى الصومالى « الحير » بين ثلاث مستويات من التشريعات والحقوق المترتبة عليها ، وهى تقريبا تقابل المتعارف عليه فى التشريعات المدنية وهى : —

(أ) الجناية : القتل وجزاؤها « الدية » •

(ب) الجنحة : الاضرار البدنية وجزاؤها « الحق » •

(جـ) المخالفة : كالاهانات الشتائم وجزاؤها « الحال » •

ويطبق فى هذه الاعراف المبدأ القانونى بأن الجرم الأشد يجب الجرم الاقل شدة أى عدم تعدد العقوبة • ويقوم مجلس شـــيوخ

العشيرة أو القبيلة بتطبيق أحكام الحير وتقرير الدية أو التعويض المناسب •

وعادة يسود التآلف والتصالح جميع المتخاصمين وتعبيرا عن حسن النية وانهاء المنازعات يتنازل صاحب التعويض عن نصف حقه تخفيفا عن الجانى واثباتا للتراضى واعادة الوئام والمحبة بين الفريقين •

٦ ـ الاعياد والمواسم :

(أ) الاعياد الاسلامية :

يحتفل الصوماليين بالاعياد الدينية الاسلامية بنفس البساطة التى تسود حياتهم • ففى عيد الفطر يصنعون نوعا من الفطائر يسمى « عنبولو » يتناولونها قبل ذهابهم لصلاة العيد وقد جرت عادة أهل الجنوب على شىء الذرة فى هذا العيد وتقديمها للمحتاجين •

أما فى عيد الاضحى فهم يذبحون الضحايا بعد الصلاة ويشترط فى الضحية أن تكون سليمة القرون والآذان وفى بعض الجهات يفضل ذبح عنزة بيضاء • ويزور الصوماليون المقابر فى الاعياد والمواسم ويحملون معهم الفطائر والشاى ويذبحون الضحايا على روح الموتى •

(ب) الاعياد الوطنية :

يحتفل الصوماليون بالاعياد الوطنية فى كل أنحاء البلاد وبخاصة عيد الاستقلال والثورة • وتعطل المدارس ودور العمل ابتهاجا بهذه الاعياد الوطنية • ومن أشهر الاعياد الوطنية فى الصومال عيد رأس السنة الشمسية (دبشد) ومعنى الكلمة « اشعل النار » • ففى هذا العيد يشعل الصوماليون النيران ويخطون فوقها ، وفى الجنوب لابد لرب كل أسرة من أن يشعل نارا كبيرة أمام كوخه ويظل يرقص حولها وينشد الاناشيد بالاشتراك مع الاخرين • وبعد الانتهاء من كل رقصة

يغرز رب الاسرة رمحه فى النار اشارة الى فقأ العين الشريرة ويستمر الاحتفال واشعال النار عدة أيام •

ولعيد (دبشد) اسماء أخرى فى الصومال منها « عيد النيروز وهى تسمية فارسية ومعناها رأس السنة ، وعيد (فرعون) وهذه التسمية تدل على مبلغ قدم هذا العيد كما تدل على صلة تاريخية قديمة بمصر •

ومن أعنف الاحتفالات فى اثناء عيد دبشد احتفال يجرى فى بلدة أفجوى يدعى « استن » ومعنى الكلمة « اضرب » اشارة الى المعركة الكبيرة التى تحدث فى هذا الاحتفال • اذ ينقسم الرجال الى فريقين متواجهين يتكون كل منهما من عدة صفوف ، ويلبس كل فريق زيا خاصا ويتخذ ألوانا يتميز بها ويرسم المحاربون على وجوههم خطوطا زرقاء ويعصبون رءوسهم أو يضعون فوقها تيجانا ذات ذات ألوان زاهية ويحملون العصى فى أيديهم ، ثم يتقدم كل فريق نحو الاخر وهو يرقص ويصيح صيحات الحرب والقتال حتى يقترب الفريقان من بعضهما اقترابا شديدا وعندئذ ترتفع الأيدى بالعصى وتهوى على الرؤوس وتسيل الدماء فى هذا الاحتفال الغريب • وهدف هذه المعارك هو طرد الأرواح الشريرة وضمان سنة خصبة موفورة الزرع (١) •

ومعظم هذه الاحتفالات غير الاسلامية تؤدى الآن بشكل فولكلورى لتمثل مرحلة سابقة على عصر الثورة والنهضة • ولكن يحتفظ بها لتمثل على المسارح الوطنية وفى الاحتفالات القومية •

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : صوماليا ، مرجع سابق ، ص ٣١١ وما بعدها •

ثالثا ــ الأدب الشعبى

يجمع الباحثون فى علم الفولكلور على أن الأدب الشعبى هو أقــدم موضوعات الدراسة والبحث ، بل ان علم الفولكلور اقتصر فى بلــدان كثيرة على دراســة الأدب الشعبى بصفته أهم مكونات التراث عند شعب من الشعوب ، ســواء أكان هذا الأدب شفاهيا أم لفظيا أو تعبيريا ، ومهما تعددت صــور القــائه فرديا أم جماعيا • وتشمل دراسة الأدب الشعبى فى ثقــافة من الثقافات أو شعب من الشعوب دراسة مختلف وســائل التعبير من شعر ونثر أو حكم ومواعظ وأمثال وأقوال مأثورة يتداولها الناس فى مختلف المناسبات • كما تشمل أيضا الاسطورة والخــرافة والحكايات الشعبية وغيرها •

والأدب الشعبى نوع من الخلق الشــعبى ، ويعد الأدب الشعبى جزءا هاما من التراث الشعبى ويتضمن الحكايات الشعبية ، والأغانى الشعبية ، وأهازيج الطقوس الدينية ، والألغاز •• الخ (١) •

وسوف تشتمل دراستنــا للأدب الشعبى فى الصــومال خمســة موضوعات رئيسية هى اللغة والشعر فى أغراضه المختلفة وأغانى العمل والأمثال الشعبية والروايات الأسطورية حتى نتعرف على مكانة الجمل فى كل منها •

١ ــ اللغة الصومالية والجمل :

لاشك أن اللغة هى وعاء الأدب مهما اختلفت وسائل التعبير وتعددت طرق الالقــاء وتنوعت الموضوعات والاغراض التى يتناولها • كما أن الادب يحفظ اللغــة ويعمل على استمراريتها وتناقلها عبر الاجيال ، وأوضح الامثلة على ذلك الادب العربى فلا يزال علماء اللغة يستشهدون ببعض ابيات من الشعر الجاهلى لضبط أو قياس قواعد اللغة العربية فى عصرنا الحاضر •

---

(١) ايكة هو لتكرانس : قاموس الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمــة د. محمد الجوهر ، د. حسن الشامى ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٤ •

وهناك علاقة وثيقة بين لغة شعب من الشعوب والثقافة السائدة لديه • اذ تستجيب اللغـــة لمتطلبات الناس وقيمهم ونظرتهم الى الحياة • أى أن للغة المرونة الكافية التى تجعل الفرد فى المجتمع يختار من التراكيب اللغوية عبارات تعبر عمـــا يجيش فى صـــدره فى يسر وســـهولة •

واللغة الصومالية * هى أوضح الامثلة على ذلك • فكما أوضحنا يعمل نحو ٧٠٪ من السكان بالرعى وبصفة خاصة برعى الجمال ، لذلك يحتل الجمل مكانا بارزا فى اللغة الصومالية مثلما يحتله فى نفـــوس أفراد الشعب الصومالى شمالا وجنوبا ، ونود أن نذكر بعض الامثلة التى تبين مكانة الجمل فى اللغة الصـــومالية وبالتالى مكانته فى كل موضوعات الفولكلور الصومالى •

تذخر مفردات اللغة الصومالية بالعديد من الكلمات أو الالفاظ التى تشير الى الجمل ، ولا يشارك الجمل فى هذه الخاصية أى حيوان أو أى شىء آخر فى المجتمع الصومالى • ويشير الصوماليون الى الجمل دائما بلفظ الجمع جيلا Geela-a ولا يشار اليه عادة بأسمه المفرد وهو أوركا Awr-ka ، كما يطلق على الجمل أسماء متعددة بتعدد الحالات التى يكون عليها ، ومنها على سبيل المثال يطلق على الجمل الاسماء التالية : ـــ

awr-ka مفرد مـــذكر

awr-ta جمع مـــذكر

hal-sha مفرد مؤنث (تنطق hasha)

(*) تصنف اللغة الصومالية ضمن مجموعة اللغات الكوشية التى تبلغ ثلاثون لغة ولهجة يتحدث بها فى شمال شرق السودان واريتريا والصومال واثيوبيا والتخوم الشمالية لاقليم كينيا • ومن هذه اللغة الكويشة تعتبر الصومالية والجالا أوسع اللغات انتشارا ، ويصل عدد المتحدثين بهاتين اللغتين معا اكبر من المتحدثين باللغات اكويشـــة الأخـــرى • انظـــر :
Andrejewski, B.W. : Somali Poetry & Lewis, I.M., Oxford, Clarendon Press, Oxford, 1964, P. 33.

rati-ga مفــرد مــذكر

rakuuba-ka فى حالة ركوب الجمل

nirig-ga للجمل الصغير ١

niriga-ta للجمل الصغير ٢

gaalin-ta للجمل الصغير ٣

geel-a جمال (اسم جمع)

awrkiraale-ha راعى الجمال

geeljire-ha راعى الجمال

geedi-ga سير الجمل

وتبدو ميزة تعدد أسماء الجمل فى الادب الصومالى فى حرية اختيار الأسم الذى يناسب المعنى ، ويجعل اللغة الصومالية شعراء ونثرا قادرة على التعبير فى المواقف المختلفة بألفاظ تترجم حس الشاعر وتعكس حبه للجمــال •

وتبدو هذه الميزة واضحة عند تجنب الاشارة الى الجمال بسوء أو تشاؤم • وعلى سبيل المثال عندما يريد الصومالى القول بأن عددا من الجمال قد ماتت أو بعضها على الاقل لا يستخدم اسم الجمع للجمع gecl بل يستخدم الاسم المفرد للتقليل من هول حــدث الموت • فهو يقول :

awr baa dlntey ومعناها مات جمل •

awr baa dimatey ومعناها بعض الجمال ماتت •

awrtii waa dimatey ومعناها الجمال ماتت •

وعندما يتحدث عن الجمل بسرور وبهجة فهو يشير اليه باسم الجمع geeli ولذلك يقول : geelii waa daageyaa ومعناها ترعى الجمال ، لان الرعى دليل الصحة والسعادة والحياة العادية للجمال بعكس الموت الذى يعتبر نذير شؤم يجب التقليل من أثاره السيئة (١) •

٢ ــ الشعر :

لاشك أن الصومال هى أمة شاعرة ، ولا يرجع ذلك الى كون الشعب الصومالى شعب رعوى أساسا ، فهناك العديد من الشعوب الرعوية فى شرق وغرب افريقيا لا يرقى شعرها كما وكيفا الى مرتبة الشعر فى الصومال •

ويقول أندريجيفسكى (٢) Andrejewski الذى درس الثقافة والادب الصومالى أن شعرهم هو أحد الانجازات الثقافية الرئيسية ، كما يحتل الشعر حيزا كبيرا وهاما فى الثقافة الصومالية • ولا يعد الشعر أمرا شائعا بين الصوماليين فحسب ، بل أن الالمام به وأجادته من الاشياء المحببة لدى كل فرد ، وكثير منهم يجيدون نظمه ، ويعد التراث الشعرى بمثابة القوة الدافعة والمتصلة اتصالا وثيقا بالحياة اليومية •

ولكن للتعرف على خصائص الشعر الصومالى لابد من معرفة الظروف الاجتماعية والثقافية التى لها جذور عميقة فى وجدان الشعب ، والتى يستمد منها الصوماليون الهامهم • ذلك لان الشعر الصومالى ملىء بالتصورات المعنوية ، كما أنه يهتم بالرمزية التى تعبر عن مختلف الشعائر والمناسبات والاحتفالات ، هذا بالاضافة الى ضرورة فهم ومعرفة طبيعة ومذاق الحياة الرعوية التى يعيشها معظم الشعب الصومالى •

---

(١) Bell, C.R.V. : The Somali Language, Longmans, Green and Co., London 1953, P. 28.

(٢) Op., Cit., P. 2.

ومن خصائص الشعر فى الصومال أنه شعر اجتماعى بمعنى أن من يقرض الشعر لا يقصره على نفسه بل يلقيه على المحيطين به لينال اعجابهم ، ويحظى الشاعر الجيد عادة ببطانة من المعجبين يتبعونه حيثما سار • فاذا حاز اعجابهم حفظوا شعره عن ظهر قلب ورددوه فى مجالسهم ، وبذلك ينتشر الشعر بين الناس • ولما كان عدد الشعراء كبيرا فى الصومال فان هناك تنافس لشد انتباه المستمعين • كما يواجه الشعر غير الجيد بهجوم شديد وانتقاد حاد تجعل الشاعر يفكر كثيرا قبل أن يلقى شعره على الناس •

ومن اجتماعية الشعر أيضا أنه ليس قاصرا على الرجال وحدهم بل يسمح للنساء أيضا بقرض الشعر والقائه • وبخاصة الشعر الغنائى •

ويقسم الصوماليون شعرهم الغنائى الى ثلاثة أنواع تبعا للغرض الذى يقال فيه فيسمى الشعر « جباى » اذا تناول المدح بأنواعه ، بينما يطلق اسم « حس » اذا قيل الشعر فى الحب أو الغزل ، أما شعر « غرار » فهو شعر الحماس والاستعداد للحرب • وهناك أنواع من اغانى العمل والافراح وغيرها ، واحيانا تجمع كل فنون الادب الشعبى فى جلسة واحدة ، عندما تلقى اغانى الافراح تصاحبها رقصات الفتيات التى ترقص على انغام الموسيقى الشعبية البسيطة ويشارك جميع الحاضرين فى الغناء أو الرقص أو الايقاع •

وأفضل ما كتب عن الفولكلور الصومالى بصفة عامة والادب الشعبى بصفة خاصة هى تلك الكتابات التى اتبعت المدخل الثقافى لدراسة الفولكلور ، وقد استفاد « اندريجيفسكى » باتباعه هذا المدخل فى دراسته للشعر وأيضا « بل » فى دراسته للغة الصومالية • وقد وضح لهؤلاء الى أى حد تؤثر الثقافة فى فنون الادب واللغة وتطبعهما بطابع خاص •

ومهما تعددت أغراض الشعر مثل المدح أو الوصف أو حتى الرثاء ، فان الجمل يحتل مكانا بارزا فى كل الاغراض ، وبصفة خاصة الشعر الغنائى الذى يغنى فى مناسبات متعددة ، أهمها ما يسمى أغنيات العمل Work-Songs لانها تأخذ الطابع الفولكلورى الشعبى على نطاق واسع ، ومجرد ذكر الجمل فيها يثير حماس الناس ويدفعهم الى العمل بجد ونشاط • كما يلجأ الشاعر الى جعل الجمل موضوعا لشعره حتى يجذب انتباه المستمعين ويستحوذ على اعجابهم لانه يعرف مكانة الجمل فى نفوسهم •

كما يمتدح الجمل فى الشعر الصومالى فى كل الاوقات ، سواء عندما يتغنى الرعاة الشبان به ليلا فى معسكراتهم ، أو عندما تسير القوافل وأيضا فى طريقهم لبيع وشراء السلع أو فى ذهابهم لاحضار الماء ، وأيضا عند ذهابهم بالجمال لسقيها من الآبار أو خلال الرحلات الرعوية الطويلة (١) •

ويقول الباحث الصومالى أحمد كالى أبو كور (٢) الذى انفق عدة سنوات فى جمع التراث الشفاهى الصومالى الذى يتصل بالجمال ونشرها فى كتابة القيم باللغة الصومالية « الجمل فى التراث الشفاهى الصومالى » أن هناك حكمة صومالية تقول « ان الرجل الذى لا يستطيع أن يدافع عن جمله بالكلمات بنفس الطريقة التى يدافع عنها بيديه يفقد حقه فى العيش فى الصحراء » • والصوماليون مولعون بنظم الشعر فى الجمال وتبدو معرفة التراث الشعبى والمشاركة فى الفنون الشفاهية مطلبا رئيسيا قبل أن يصبح المرء مالك جمال محترم • أن الجمل جزء ضرورى فى الثقافة الصومالية بل هو موضوعها •

---

(١) Lewis, I.M. : Pastoral Democracy, O.U.P. London, 1961, P. 86.

(٢) Op. Cit., P. V.

وبسبب ضخامة الانتاج الشعرى لا يستطيع أى باحث أن يلم أو يجمع كل لاتراث الشعرى الصومالى والا استغرق هذا العمل عدة سنوات واحتاج الامر الى تسجيله فى عدة مجلدات . ولكن حسبنا فى هذا المقام أن نذكر بعض النماذج التى تتصل بالاغراض المختلفة التى يتناول الشاعر فيها موضوعات تتصل بالجمال أو الحياة الرعوية .

(أ) فى مدح لحم الجمال :

والشعر الآتى وهو لشاعر غير معروف يصور القيمة الاقتصادية العظمى للجمال وبصفة خاصة فى الاوقات الصعبة ، مثلما يحدث عندما يهلك الجفاف الانواع الاخرى من الحيوانات التى يربيها الصوماليون البدو مثل الماعز والماشية .

عندما يحل الجفاف الشديد .

وتحترق الحياة فوق الارض .

عندما تضعف الماعز .

وتجرفها الرياح بعيدا .

غنى حقا ذلك الرجل الذى .

فى مثل تلك الاوقات العصبية .

يمتلك مئات من الجمال .

لان ضلعا واحد من اللحم .

يكفى المرء ويغذيه .

ربى امنحنا مزيدا من الجمل .

لانها أفضل شىء على الارض [1] .

---

(1) Ibid, P. 26.

وهناك أغنية عمل تمجد لحم الجمال وقيمته الغذائية العالية وتبرز مزايا الاجزاء الممتازة من اللحم ٠

يا سلوجلا (اسم جمل) ٠

لحمك على عدة أنواع ٠

لديك أضلاع قوية ٠

وخاصره جيدة أيضا ٠

من يطعم من اللحم مشويا ٠

يظل ثلاثون يوما بدون طعام ٠

ولا يشعر بضعف أبدا ٠

ولا تضمحل قوته مطلقا ٠

ولم يخلق الله أى شىء يضارعك ٠

ويقول الرعاة أن هناك قطعة سمينة فى وسط سنام الجمل تسمى « أمان » توكل نيئة ٠ وهذا سبب آخر من أسباب القيمة العالية للجمال عن غيرها من أنواع القطيع الاخرى التى يربيها الرعاة الصوماليون ، والتى ليس لديها هذه الخاصية المتميزة ، والشعر الآتى هو فى مدح قطعة الامان هذه ٠

جملى السمين المخصى عندما تذبح ٠

وتغرز فيك الخناجر المسننة ٠

ويقطع رقبة الحيوان القوى ٠

ويتسابق الجزارون فى الحال ٠

ويقطعوا بسرعة الجزء الحيوى .

وتؤكل الآمان والكبد بسرعة .

فاللحم المميز يؤكل نىء .

ولا يوجد الا مختبىء داخل سنم الجمل .

ومثل هؤلاء الرجال يظلون عقلاء دائما (1) .

(ب) فى مدح لبن الجمل :

ويقال هذا الشعر كأغنية عمل .

ناقتى بنية اللــون .

لم تخفق أبدا فى اعطاء اللبن .

وحتى عندما يرضع وليدها كل اللبن .

فان مظهرها اللطيف .

يثير اعجاب كل الناظرين .

فانتى يا ناقتى البنية .

اذا أتى الليل المتأخر .

حل علينا ضيوف أعزاء .

وفى البيت الذى لا جمال فيه .

وبه ماشية متعددة الالوان وماعز لها حوافز مدببة .

فانها لا تستطيع .

أن تعطى حلبة ثانية .

---

(1) Ibid, P. 11.

حيث تشبع الضيوف •

أنها أنثى ناقتى السوداء •

التى أستطيع فى أى وقت من الليل •

أن أوقظها للحصول على حلبة ثانية •

حتى نطعم الضيوف الاعزاء (١) •

(جـ) فى مدح جمال الحمل :

يقسم الصوماليون الجمال الى قسمين بحسب الجنس ، أولها النوق الحلوبة وتخصص لادرار اللبن ولا يفرط فيها الرعاة الا فى الضرورة القصوى • أما القسم الآخــر فهى الجمال الذكور وتخصص لحمل الامتعة والبضائع وللاســعار الطويلة وأيضا لحمل محتويات المسكن واثاثه عند الانتقال من مكان لآخر •

والشعر الآتى هو لشاعر معروف يسمى اسماعيل هايد يشرح فيه كيف تعتبر جمال الحمل كوسائل نقل وتربط انحاء الوطن حيث يعيش سكان المجتمع الرعوى فى البلدان والمــدن المتفرقة • ويقارن الجمال بسفن المحيطات •

جمال الحمل هى سفينة حية للعالم •

بين هرجيسا * وجيجيجا ** تعمل •

محملة بالبضائع من بلاد كثيرة •

وتجلب الشهرة العظيمة من مارسيليا الى اداري •

---

(١) Ibid, P. 6.

* مدينة فى شــمال الصــومال .

** مدينة فى غرب الصــومال .

أن الجمل وسيلة اساسية للحياة •

(د) فى التشــوق للرقص :

١ ــ لم اتناول أى قطعة من اللحم المفضل •

٢ ــ ولم أشرب من اناء كبير •

٣ ــ ولكن لى رغبة شديدة فى الرقص •

(ه) الفخــر (شــعر الفخــر) :

الرقص المفضــل :

١ ــ أن أحسن الرقص هو رقص العشائر الشرقية •

٢ ــ أن أحسن الرقص هو رقصنا •

٣ ــ أنا متأكد من ذلك تماما •

٤ ــ وأحسن ثروة هى الجمال •

٥ ــ وحشائش الدور هى أحسن مراعى خضراء •

٦ ــ وعشب الدوريمو هو أحسن علف •

٧ ــ وأنا متأكد من ذلك تماما (١) •

(و) فى التضامن والتعاون :

ويغنيها الاقارب اثناء سقى جمالهم الاغنية الفولكلورية الآتية : ــ

١ ــ كلهم هنا مستعدون •

٢ ــ وهم أقارب لنــا •

---

(١) Andrejewski, : Op. Cit., PP. 142, 144.

٣ ــ ما أعظمهم وما أفيدهم •

٤ ــ وهم واقفون على أتم استعداد •

٥ ــ لقد ادليت بدلوى الى البئر •

٦ ــ يارب العالمــين •

٧ ــ يا الى سهل مهمتنا •

(ويخاطب الجمال قائلا) :

٨ ــ ستكون هادئا •

٩ ــ تقدم الى الامام ببطىء •

١٠ــ ضع فمك فيه مباركا •

١١ــ أنه ماء نقى خال من الآثام •

١٢ــ فعظامك الضعيفة الواهنة •

١٣ــ ستترطب وتمتلىء ثانية •

١٤ــ وعندما يقف الناس مستعدون •

١٥ــ ويحضر كل الاقارب •

١٦ــ لن تترك الجمال مكانها حتى تسقى كلها (١) •

(ز) فى شــعر الثبــات والجلــد :

١ ــ مثل الناقة ذات الجرس الكبير •

٢ ــ الآتية من فوق الهضبة والهود الاعلى •

---

(١) Ibid, P. 140.

٣ ـ فان حرارتى عالية •

٤ ـ تصيح الطيور معا على نفس الشجرة •

٥ ـ وتنادى كل منهما بصحباتها •

٦ ـ ولكل وطن طريقته •

٧ ـ ولا يفهم الناس حديث الآخرين •

٨ ـ احدى ناقاتى وقعت على الطريق •

٩ ـ ولقد حميت لحمها •

١٠ـ وفى الليل لم استطع النوم •

١١ـ وفى النهار لا أجد الظل •

١٢ـ ولقد كسرت آنفى على عصا •

١٣ـ وكسر فخذى الايمن •

١٤ـ وفى عينى شىء ما •

١٥ـ وهكذا أسير(١) •

(جـ) فى رثاء الزوجة :

لراجى أوجاسى

١ ـ ان حالتى كالجرس الخشبى : الذى تربط به الجمال الشاردة •

٢ ـ أو كالجمال التى تفرقت من صغارها •

---

(١) Ibid, P. 142.

٣ ـ أو كالناس عندما تبدأ الرحيل تاركة المعسكر •

٤ ـ أو كالبئر الذى تكسرت حوافه أو النهر الذى فاض على شـــاطئين •

٥ ـ أو كالمرأة المسنة التى قتل وحيدها •

٦ ـ أو كالفقراء الذين يقتسمون الطعام القليل فى الوجبة •

٧ ـ أو كالنحل عند دخوله الخلية ، أو كالطعام عندما يقلى •

٨ ـ بالامس اذهب عويلى بنوم سكان كل المعسكرات •

٩ ـ هل سأظل مخبولا فى بيتى وقصرى ؟

١٠ـ هل حسد الآخرين على قدر تحقق بالكامل ؟

١١ـ هل سأحرم من اللحم المحمر ومخزون الاوقات العصـــبية الذى كان متوفرا لى •

١٢ـ هل أنا اليوم قد محيت من على وجه الارض ؟

١٣ـ هل ولدت على سرج جمل فى مكان قاصى بعيد ؟

١٤ـ هل كسرت ساقى وعظامى ولن تجبر أبداً (١) ؟

(ط) فى العتـــاب :

وهو حوار بين الراعى وجمله :

تميز الجمال أنفسها أى الاماكن التى تجعلها تنمو وتزدهر بقوة أو لا تزدهر والابيات الآتية هى حوار بين الواعى وجمله المفضـــل وضعها الشاعر عواد فرج وفيها يعترض الجمل لاهمال الراعى له بعدم قيادته الى المرعى الجيد حيث ينمو ويسمن •

---

(١) Ibid, P. 64.

تناقشت اليوم أنا وناقتى ماديكس :

فقالت : فى واد ضيق وجاف •

تركتنى مدة طويلة عند آبار خاوية •

وحياتى تتحطم هناك •

قلت : اننى اعتنى بكى دائما •

وأقودك الى مراع غنية •

قالت : خذنى الى الاراضى المطيرة الغنية •

قلت : هناك يوجد الاثيوبيون الاعداء •

الذين لا يدعونا نعيش فى سلام •

قالت : بمسدسات المارتن الصومالية •

يجب عليك أن تقذفهم بها

قلت : أنهم مسلحون بأسلحة حديثة •

قالت : اذن الى الاراضى المالحة •

خذنى الى هناك حيث السفانا •

قلت : ستكونى متعبة اذا وصلتى الى هناك •

لان هذه الجهة بعيدة جدا •

قالت : الى أى جهة خذنى •

حيث انمو فى المرعى الطيب •

ولن اعترض بعد ذلك •

قلت : المكان الامثل لكى هو اينابو

قالت : الحيوانات المفترسة كثيرة هناك •

وأخاف على أولادى الصغار ـ

قلت : سأشعل النار ليلا •

حتى يبتعدوا عن المكان (1) •

(ك) من شـــعر الحــكمة :

يحكى أن شـــاعرا صـــوماليا معـــرفا يدعى ســـامرتر باهنـــان Samatar Bahanan تشاجر مع زوجته فى أحد الايام ، لانها أرادت أن تعطى بعض جمال الاسرة الى أقاربها ولكن زوجها رفض الفكرة ، وأراد أن تدرك زوجته أن ثراء الاسرة انما يعود الى امتلاك نفس الجمال التى تريد أن تتخلص منها أو أن هذه الحيوانات هى الثروة الرئيسية للاسرة ، والتى تمدهم باللبن الكافى الذى يملاء كل الاوانى فى كوخ الزوجة • وأراد الزوج أن ينصح زوجته ويثنيها عن عزمها ويعرفها بأن أى رجل عاقل لا يمكن أن ينظر الى الجمال كأشياء يمكن بسهولة التخلص منها فأنشدها الشعر التالى : ـ

فى يوم ما عندما يحل أكلال •

ويفنى الناس من العطش •

وتصرخ النساء ذوات الاطفال •

ولا يوجد أحد يعطى نقطة مياه •

أما انتى يا زوجتى فغير ذلك تماما •

---

(1) Abokor, A. : Op. Cit., P. 55.

فلديك آنية مملوءة بلبن الجمال الطازج •

مخزون لديك فى الكوخ •

وعلى جمال الحمل •

التى أمددتك بها أيضا •

وعندما تشر بين بعضا منها •

تملائين الانية ثانية •

بالماعز والماشــية •

يدفع المرء ديونه •

أما الجمال فانه يبقيها كضمان مدى الحياة •

ولا يعطيها لاى أحد مهما كان •

حتى ولو كان أبوكى (١) •

(ل) فى الوطنية والحماس :

كتب الشاعر عبد الله سلطان كثيرا من الشعر الوطنى وذلك فى فترة النضال من أجل الاستقلال وبصفة خاصة ضد الاستعمار الايطالى والانجليزى ونختار له من قصيدة مطولة بعض الابيات الآتية :

عندما يقف الرجال الشجعان •

فى جانب من جوانب القتال •

وعندما بفضل الله •

---

(١) Ibid, P. 7.

ينتصر شعبا .

فالجمل الذى من أجله .

أقول فيه شعر المدح .

٣ ــ الامثال الشعبية :

يعبر المثل ، فى شكله الاساسى عن حقيقة مألوفة صيغت فى أسلوب مختصر ، حتى يتداوله جمهور واسع من الناس .

والخاصيتان الاساسيتان فى المثل ، هما الطابع التعليمى من حيث الموضوع ، والاختصار والتركيز من حيث الاسلوب . وأما طابعه التعليمى الذى يكون مباشرا فى أغلب الاحيان فيدل على أن المثل ابتكار تصنعه العبقرية الشعبية ، وأنه يثبت أكثر مما تثبت الانواع الادبية الاخرى ثم أن الطابع التعليمى الاخلاقى هو السبب فى ذيوع الامثال فى سائر الانحاء ، ذلك أن انتشارها بين الامم غير الاوربية لا يقل عن انتشارها بين الاغريق القدماء والرومان [١] .

وتضرب الامثال الشعبية الصومالية المتعلقة بالجمال فى نفس الاغراض التى يقال فيها الشعر ، وهى تركز على المزايا والفوائد الاقتصادية التى يحصل عليها الناس من الابل مثل اللحم واللبن ، كما تركز أيضا على صفات وخصائص الجمل من ناحية ثانية . وأهم هذه الامثال الشعبية [٢] .

١ ــ كثير من اللحم والكلام :

يوجد دائما حول مكان الذبح :

---

(١) الكراندر هجرتى كراب : علم الفولكلور ــ ترجمة : رشدى صالح ، مؤسسة التاليف والنشر ــ القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٢٣٥ .

(٢) Abokor, Passim.

ويصور هذا المثل مدى اقبال الناس وحديثهم عندما يتجهون الى مكان ذبح الجمل لكى ينالوا نصيبهم من اللحم الذى يكفى كل العائلات والجيران • لذلك يكثر الكلام الضوضاء حول مثل تلك الاماكن •

٢ ـ أن الجمل الذى يظل

بدون شرب الماء لمدة شهر

يمكن أن ينتظر يوما آخر •

ويصف هذا المثل اعتقاد الرعاة بأن الجمل يمكن أن يصبر نحو ٣٠ يوما بدون شرب أى مياه على الاطلاق •

٣ ـ لا تتخلى عن الجمال

بل حاول أن تحصل عليها من الآخرين •

ويعكس هذا المثل مدى اعتزاز الرعاة وضرورة احتفاظهم بالابل وعدم التفريط فيها لأى سبب ، ذلك أن من طموحات أى رجل فى الريف أن يحصل على الجمال بأى طريقة •

٤ ـ الهى ، ان الرجال والجمال

تصلى لك بسبب الخيرات غير المحدودة •

تتعادل قيمة الرجال مع الجمال فى المجتمع الرعوى ، ليس هـذا انحطاطا لقيمة الرجال ، بل أنه حب واعتزاز للجمال يرفعها الى مكانة الرجال • وهناك قيمة رمزية أخرى فى هذا المثل وهى أنه لولا الرجال ما كانت الجمال ولولا الجمال ما كانت الرجال •

٥ ـ كرماء أيها الرجال والجمال

وجاحدات أينتها النسوة والماشية •

يصف هذا المثل النساء بالضعف وكذلك الماشية ، وذلك على عكس الجمال الكريمة والعالية المكانة •

٦ ــ انت يامالك الجمل

لا تعيش ابدا فى سلام

ويصف هذا المثل الصعوبات التى يواجهها الراعى أو مالك الجمل عندما يواجه الظروف البيئية القاسية ، كما هو الحال فى حالات قلة الامطار أو جدب المراعى •

٧ ــ شفطه من لبن الجمل

تكفيك نصف يوم

وهذا المثل يبين القيمة الغذائية العالية للبن الجمال ، والتى لا تعادل ألبان أى حيوانات أخرى ، ذلك أن مجرد شفطة واحدة تعطى الشخص القوة الكافية لمسيرة نصف يوم • كما أن الشخص الذى يتعود على شرب لبن الجمال تكون له قوة بدنية وقدرة على التحمل أكثر من غيره •

٨ ــ اللبن الكافى هو لبن الجمال يمكنك أن تحصل عليه أينما تذهب ، هى أيضا تذهب معك •

ويشير هذا المثل الى أن الجمل وحده هو الذى يمد الناس باللبن الكافى كما يبين أيضا أن أنواع الحيوانات الأخرى تنتج لبنا أقل من الجمال كما وكيفا • وتعنى كلمة « كافى » هنا ان لبن الجمال هو المناسب للضيوف المكرمين بينما لبن الحيواتات الاخرى لا يفى بهذه الأغراض •

ومن أغنيات العمل التى تمتدح لبن الجمال (١) ، ويتغنى بها الرعاة عند سقى الحيوانات ، وهى تصف حب الناس للجمل ومدى تمتعهم عندما يشربون لبن الجمال ، تقول كلمات الاغنية :

---

(١) Ibid, Passim.

لبن نقى وصحى

ذلك الذى اشربه بنهم شديد

جملى حبيبى

انك معطاء دائما

والأغنية التالية يتغنى بها الناس فى جنوب الصومال وهى تصف قوة وحيوية الشخص الذى يشرب لبن الجمال الطازج ، وتمتدح الأغنية أيضا الجمل لكرمه الذى أودعه الله فى هذا الحيوان المفيد للانسان وتقول كلماتها : —

لبن دافىء وحلو

يأتى من حلمة ثدى الجمال وينعش البدن

لقد خلق الله الجمل على هذه الدرجة من الكرم

وأغنية ثالثة تبين كرم الجمل وصاحبه عندما يأتى الضيوف ليلا ، ولا يوجد فى البيت ما يقدم لاكرامهم الا لبن الجمال . وتقول كلماتها :

ناقتى ذات الفراء الأبيض

فى وقت متأخر من الليل

عندما تغيب النجوم

قد يأتى ضيوف بدون توقع

لنحصل على حلبة ثانية هذه الليلة

فساعدينى فى العطاء والكرم وانقذينى

وفى هذه الحالة نستدعيك

٩ ــ اما ان تكون قويا كالجبل

أو تلحق نفسك بمن يمتلك هذه القوة

ويضرب هذا المثل للحث على التماسك والالتفاف حول الجماعات القرابية الكبيرة ، لان الجماعات الصغيرة لا تستطيع ان تعيش بمفردها لأنها تكون فى هذه الحالة من الضعف بحيث تهاجمها الجماعات الأكبر • لذلك يجب أن تنضوى الجماعات الصغيرة تحت حماية وفى كنف جماعاتها القرابية الكبيرة التى تضمن لها الحماية والأمن •

١٠ــ ان الوفرة والندرة غير منفصلين تماما •

تتعلق حياة الرعاة بالتوازن الدقيق بين الفصول الاربعة ، وأى خلل أو تأخير فى سقوط الامطار يهدد الحياة الرعوية وثروتها من الابل بخطر جسيم ذلك أن الجمال تذبل ولا يجد الرعاة من الماء والكلأ ما يمكنهم من الرعى بسهولة ، ولذلك فقد تنقلب الاحوال من وفرة وخضرة الى جفاف وقحط •

٤ ــ الروايات الاسطورية الشعبية :

الروايات الشعبية التى تشتمل على ألغاز وأمثال وحكم تهدف الى التسلية وامتاع المستمعين ووظيفة أخرى تحققها وهى التعليم ، فالأمثال تحتوى على حكمة عدد كبير من الأجيال ، بينما الروايات والالغاز تعلم الاطفال عن النباتات والحيوانات والطريقة التى يعمل بها المجتمع • وبتحقيق هذه الوظائف فان الروايات وغيرها من فنون الأدب الثقافى تؤكد على استقرار واستمرار الثقافة وتعلم التقاليد والممارسات المقبولة اجتماعيا (١) •

---

(1) Aceves, J.B. & : Introduction to Anthropology Kin, H.G. Central Learning Press, N.J. 1979.

وهنـــاك قدر من التداخل فيمـــا يسمى الاسطـــورة Myth والرواية الخرافية Legend ويقول قاموس الفولكلور ان الاسطورة هى شىء يقرأ فى محفل دينى ، وتمثل أحداث حدثت فى أزمان ماضيـــة وتشرح التقاليد فوق الطبيعة للناس وآلتهم وأبطالهم وسماتهم الثقافية وعقائدهم الدينية •• الخ (١) •

أما قاموس الاثنولوجيا والفولكلور فيصف كلمـــة Legend بأنها وقائع تاريخية متفردة أو غير عادية يعتقد بصحتها وجوازها وان لم يمكن اثباتها تاريخيا مثل الاساطير العربية •

ورغم ان الروايات الشعبية قد تتضمن بعض العنـــاصر الخرافية فهى ليست مقدسة بنفس درجة الاسطورة ، وتحكى الروايات الشعبية أساسا للتسلية مع أنه قد يكون لها وظائف تعليمية هـــامة • ومعظم الحكايات والفنون الثقافية الأخرى كالالغاز والاحاجى والامثال وغيرها لها هدف اخلاقى • ولذلك فان التراث الثقافى هام جدا فى عملية التنشئة الاجتماعية فى كل مجتمع وبصفة خاصة فى المجتمعات التى لا تعـــرف الكتابة • فالفولكلور يمكن أن يخبرنا بالكثير من القيم الثقافية للمجتمع لأنه يظهر أى الأفعال يسمح بها وأيها يعد ممنوعا أو محرما ، ولذلك فان دراسة الفولكلور تكشف عن المحتوى الثقافى مما يعطينا مفتاح فهم الرواية نفسها (٢) •

وقد أشار مالينوفسكى Malinowski منذ أكثر من نصف قرن مضى ، بأن هناك صـــلات وثيقة بين الروايات المقدسة لمجتمع ما من ناحية ، وبين ممارساته الطقوسية ومعاييره الاخلاقية وتنظيمه الاجتماعى من ناحية أخرى • « فالاسطورة ليست مجرد حكاية عاطلة » كما يقول ، ولكنها قوة عمل نشطة ووظيفتها هى تقوية التقـــاليد وتحميلها قيمـــة

---

(١) Leach, Maria (ed) : Standard Dictionary of Folklore, 1950.

(٢) ايكة هولتكرانس : مرجع سابق ، ص ٤٢ •

ومكانة كبرى عن طريق ارجاعها الى أصول وأحداث ماضية • وأوضح الأمثلة التي يراها مالينوفسكي من دراسة الفولكلور المعاصر هو التأكيد على فهم عمليات التغير ، كإنتشار أنماط من قبول أو تعديل القيم الثقافية والعمليات التي تظهر بها ملامح التغير من ثقافة إلى أخرى(٢) •

ولا يخلو شعب من وجود الاساطير أو الروايات الخرافية التى تتصل بماضيه أو بتاريخه • فالاساطير ظاهرة عالمية فى كل الثقافات والمجتمعات مهما بلغت درجة تقدمها أو تأخرها فى سلم الحضارة •

وتعد دراسة الاساطير من أهم موضوعات علم الفولكلور التى يهتم العلماء بدرستها وتحليلها لفهم المضامين الثقافية التى تحتويها ، كما انها تعتبر أحد مصادر التراث الشعبى المتناقل بين الناس جيلا بعد جيل •

ويواجه الباحث فى الفولكلور الصومالى بثنائية أو ازدواج فى التراث الشعبى المتعلق بالأساطير أو الرواية الخرافية ، وسبب هذا الازدواج عاملين أساسيين العامل الأول جغرافي : ويتعلق بمكان الرواية أو الأسطورة الشعبية ، فأهل الجنوب لا يعتقدون فيما يعتقد فيه أهل الشمال ويبدو أن للتوزيع السلالى والسكانى أثر فى هذا العامل وأيضا لوجود الزراعة فى الجنوب وقلتها فى الشمال • أما العامل الثانى فهو تاريخى فهناك معتقدات وأساطير أو خرافات كانت سائدة فى فترة تاريخية قبل الاسلام وكانت تمارس أديان وعقائد غير الإسلام فى الصومال ، وظلت هذه الخرافات والروايات تمارس أو تروى أو يعتقد فيها دون أن يعرف الناس حقيقتها أو مصدرها حتى الآن •

أما معظم المعتقدات الاسطورية التى انتشرت بعد الاسلام ، فهى تتعلق بكرامة الاولياء وقدرتهم غير الطبيعية على تغيير مجرى الاحداث

---

(١) Nanda, Serena : Culural Anthropology, D-Van Nostrand, Co., N.Y. 1980.

بشكل عادي وقد أضاف الناس من خيالهم وتصوراتهم أعمالا وانجازات تخرج عن ناموس البشر مما ألبس هـذه المعتقدات ثوب الاسطورة • أما الاولياء أنفسهم فلهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة ، ويحتفل الناس بهم وتقام لهم الموالد وتذبح الذبائح بهم وتقربا اليهم •

وهناك اعتقاد راسخ كان يسود الصومال قبل الاسلام وهو ان معظم التلال الحجرية تتقمصها أرواح شريرة قديمة • وتروى عن هذه التلال أساطير كثيرة حتى اليوم نذكر منها الاسطورة التالية لصلتهـا بالجمل • ولكونها تجمع بين الاسطورة واللغز والحيلة •

فى احدى التلال تسكن روح أمرأة يسميها الصوماليون « أرويلو » تستشيرها النســاء قبل الزواج وأحيانا يقطعن أجزاء من مـلابسهن ويضعنها على التل الذى تتقمصه روحها •

ويرى الصوماليون أن هذه المرأة كانت ملكة فى غابر الازمات ، وكانت تكره الرجال وتنتقم من جنسهم بخصى الصبيان • وذات يوم أرادت الانتقام من الرجال أنفسهم ، فلجأت الى حيلة للفتك بهم بأن طلبت منهم أن يقيسوا لها قوس قزح • وكان هناك شيخ كبير يسمى « أضى بيغى » اشتهر بسعة حيلته وبقدرته على رد كيد أرويلو وحل الغازها • فذهب اليه الرجال ليجد لهم مخرجا من ذلك المأزق • فأشــار عليهم « اضى بيغى » بأن يطلبوا من أرويلوا أن تعطيهم المقياس اللازم لذلك، فأسقط فى يد أرويلو وفشلت حيلتها الأولى •

وعندئذ لجأت أرويلو الى حيلــة ثانية ، بأن كلفت الرجــال ان يحضروا لها تمرا فوق جمل عار • فلجأ الرجال الى « أضى بيغى » ، أيضا ، فاشار عليهم بأن يستخرجوا نوعا من الصمغ من احدى الاشجار ويلصقوا به التمر فوق ظهر الجمل • وهكذا فشلت حيلة أرويلو الثانية • وتمضى القصة تعدد مكائد أرويلو والغازها وتدبير الشيخ وحل ألغازها وانقاذ الرجال من مكايدها •

بينما سكان الجنوب الذين يعيشـــون على ضفاف نهرى جـــوبا وشبيلى ، فان مخاوفهم تأتى من النهر وتدور بمعتقداتهم حول النهر وضرورة حمايته من العبث • ولذلك تنتشر الاسطورة التالية فى جنوب الصومال •

من أشهر الأولياء فى الجنوب فى وادى شبيلى هو « أوحلتر » الذى كان من أسباب شهرته كرامته وقدرته على دفع خطر التماسيح التى تسكن النهر ، وتنتشر عنه أسطورة تقول انه عندما توفى وأعد اتباعه جثته لدفنهـــا ، طارت الجثة فى الهواء متجهة نحو نهر شـــبيلى حيث بدأت تهبط الى الأرض منطقة الشدلة حيث كرمه الناس وقدموا لـــه الهدايا والضحايا • فبارك أوجلتر أهالى الشدلة ومنحهم نهر شبيلى الذى لم يكن يمر بمنطقتهم من قبل • وأسبغت بركة أوحلتر على النهر صفة القداسة • فيقال انه حدث ان توجه رجل الى النهر للاغتســـال فيه • فتحولت نجاسته بكرامة أوحلتر الى تمساح ضخم يتربص بكل شخص نجس يقترب من النهر ليلتهمه • ولذلك عندما يتوجه أهـــالى هذه المنطقة الى النهر يرددون تعويذة لاوحلتر لدفع خطر التماسيح(١) •

---

(١) عبد المنعم عبد الحليم : مرجع سابق ، ص ٣١٧ وما بعدها .

خـــاتمة

من دراستنا لمكانة الجمل فى الفولكلور الصومالى ، يمكن استنتاج ان الظروف الايكولوجية التى تسود الصومال تؤدى الى اعتبار الجمل كحيوان للرعى من أنسب الحيوانات للتكيف مع الظـروف الطبيعية السائدة فى البيئة الصحراوية • لذلك تصبح للجمل أهمية اقتصـادية واجتماعية كما ينظر اليها الناس كأثمن ملكية يمتلكها انسان واغلاها قيمـة •

كما تبين ان الابل هى محور الحياة الاجتماعية والثقافية(*) • ويبدو حب الابل عميقا فى نفوس الصوماليين بما يصدر عنهم من مشاعر فياضة وعواطف جياشة سواء أكانوا من سكان البـادية أو الحضر • وتنعكس هذه المشاعر فى كل ما يصدر عنهم من سلوك وتصرفات يتجسد كما وضـح فى البحث فى مجموعة المعـارف والمعتقـدات الشعبيـة وما يمارسه الناس من عادات وتقاليد تلازم حياة الافراد من الميلاد حتى الوفاة •

وبمقارنة ما ذكره هير سكوضتر عن مركب الماشـية فى شرق افريقيا كمنطقة ثقافية على أساس أن الماشـية هناك لها أهمية قصوى فى حياة تلك الشعوب ، نجد أن الجمل فى الصومال له مكانة عالية فى الحيـاة الثقافية الصومالية ، وأن أثره يتعدى الفوائد الاقتصادية التى يحصل عليها الناس من الجمال مثل اللحم واللبن ، بل أثره يصبغ كل جـوانب الحياة ويبدو واضحا فى التراث الشعبى بما يشمله من أدب شـعبى

(*) لمزيد من التفصيل انظر :

توفيق الحسينى عبده : الرعى كأسلوب للحياة فى الصومال ــ معهد البحوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة ــ نشر البحوث رقم ٢٩ ــ القاهرة ١٩٨٨ •

يحتوى على كل أنواع التعبير من شعر ونثر وأمثال وحكم وأقــوال مأثــورة ٠

ولقد بينت الدراسة غزارة التراث الشعبى الصومالى ومدى وضوح الفولكلور كواقع معايش فى الحياة اليومية ، وليس كموضوع لاحداث تاريخية حدثت فى الماضى — كما ذهب الى ذلك بعض العلماء — بل انه يمكن القول انه يصعب فهم طبيعة الشعب الصومالى دون معرفة تراثه الشعبى ٠

ولقد وضح من الدراسة الدور التعليمى للفولكلور من خلال تلقين مبادىء الســلوك الاجتماعى المقبول فى صورة عادات وتقاليد وانتقالها عبر التاريخ ليتعلمها الناس جيلا بعد جيل ، بالاضافة الى الوظــائف الترفيهية والاخلاقية التى يحققا الفولكلور ٠

اثبتت الدراسة ان تمسك الامة بتراثها الشعبى هى أحد العوامل الهامة فى حفظ وحدتها الوطنية وهويتها الثقافية التى تميزها عن غيرها من الثقافات ٠ وحيث أن كثيرا من أفراد الشعب الصومالى لازال يعيش خــارج الحدود السياسية للصومال مثل شمال كينيا ومنطقة أوجادين وجيبوتى ، فان جميع أفراد الامة الصومالية تعيش داخــل الحــدود الثقافية — رغم الحواجز السياسية — وذلك بفضل وحدة الفولكلور الصومالى ٠ وشعور الافراد حتى فى خارج الصومال انهم ينتمــون لامة صومالية واحدة لها فولكلور واحد ، وثقافة وتجمعهم آمال وأهداف مشــتركة ٠

ولعل هذا يفسر لنا تمسك الصوماليين بلغتهم الصومالية كوشــيه الاصل — رغم اعتزازهم بالاسلام والعروبة — وذلك حتى لا ينفصلوا ثقافيا عن اخوانهم خارج الحدود السياسية حيث تبين أثر الفولكلور فى التواصل الثقافى ٠ بينت الدراسة أن هناك قدرا من التغير قد أصاب بعض المعتقدات البالية والمعارف الشعبية التى لا تستند الى المنطــق والعقل ٠ وذلك بفضل انتشار التعليم عن ذى قبل ، وجهود الدولة

لمحاربة الاباطيل والنعرات القبلية التى كانت سببا فى كثير من المنازعات والحروب بين القبائل بسبب النزاع على المراعى والآبار •

كشفت الدراسة ان المدخل الانثربولوجى الثقافى هو الاكثر ملائمة فى الدراسات الفولكلورية وذلك للكشف عن القيم الثقافية وقواعد السلوك الممارسة لدرجة أن من درسوا اللغة الصومالية أو الادب الصومالى من أمثال « بل » ، و « أندريجيفسكى » لم يجدوا بدا من دراسة الثقافة الصومالية ونظم المجتمع حتى يتعرفوا على المضامين الثقافية والانساق الاجتماعية وصلتها باللغة والادب حيث أن اللغة أو الادب أو الفن يفقد معناه اذا انتزع من سياقه المجتمعى •

واننا اذا كنا قد اقتصرنا فى دراستنا للفولكلور الصومالى على المعارف والمعتقدات الشعبية والعادات والتقاليد والادب الشعبى ، فاننا نزمع بمشيئة الله فى دراسة الثقافة المادية والفنون الشعبية الصومالية — وهى حافلة بالموضوعات — استكمال كل هذه الموضوعات فى دراسة مقبلة •

وعلى ذلك فقد حققت الدراسة الاهداف التى كانت تسعى لتحقيقها، وأختبرت الفروض التى قامت عليها •

أولا : المراجـــع العربيـــة

١ ــ **الكزاندر هجرتى كراب :**

ــ علم الفولكلور ، ترجمة أحمد رشدى صالح ، دار الكاتب العربى ــ القاهرة ١٩٦٧ .

٢ ــ **ايكة هولتكرانس :**

ــ قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة : د. محمد الجوهرى ، د. حسن الشامى ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٢ .

٣ ــ **توفيق الحسينى عبده :**

ــ الرعى كأسلوب للحياة فى الصومال ، نشرة معهـــد البحـــوث والدراسات الافريقية ــ جامعة القاهرة ــ القاهرة ١٩٨٨ .

٤ ــ

ــ البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية فى الصومال ، مؤتمر القـــرن الافريقى ــ معهـــد الدراســـات والبحـــوث الافريقية ــ جامعة القاهرة ١٩٨٥ .

٥ ــ **عاطف وصـــفى :**

ــ الانثربولوجيا الثقافية ــ دار المعارف ــ القاهرة ١٩٧٥ .

٦ ــ **عبد المنعم عبد الحليم :**

ــ صوماليا ، مكتبة الشرق بالفجالة ــ القاهرة بدون تاريخ .

٧ ــ **فاروق مصطفى اسماعيل :**

ــ الانثربولوجيا الثقافية ، دار المعـــارف الجامعية ــ الاسكندرية ١٩٨٤ .

٨ ــ **محمـــد الجوهـــرى :**

ــ علم الفولكلور ، جزء ١ ، دار المعارف ــ الطبعة الرابعـــة ــ القـــاهرة ١٩٨١ .

٩ ــ

ــ علم الفولكلور ، جزء ٢ ، دار المعـــارف ــ الطبعة الأولى ــ القاهرة ١٩٨٠ .

١٠ـ نبيلة ابراهيم :

ـ الدراسات الشعبية ، دار المريخ ، الرياض ١٩٨٥ .

١١ـ وزارة الاعلام والارشـاد القومى : الثقافة والفنون الشـعبية فى الصـومال ، مقديشـيو ١٩٧٤ .

١٢ـ يوى سولوكوف :

ـ علم الفولكلور ، قضاياه وتاريخه ، ترجمة حلمى شـعراوى ، عبد الحميد حواس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القـاهرة ١٩٧١ .

ثانيـــا : المراجـــع الاجنبيـــة

13. Abokor, Axmed : The Camel in the Somali Oral Tridition, Cali Scandinavian Institute of African Studies, UPPSALA 1987.

14. Aceves, Joseph : Introduction to Anthropology, General & King, Gill Learning Press, N.J. 1979.

15. Andrejewski, B.W. & Lewis : Somali Poetry Oxford Clarendon I.M. Press, Oxford, 1964.

16. Bell, C.R.V. : The Somali Language Longmans, Green & Co., London, 1953.

17. Leach, Maria (ed) : Standard Dictionary of Folkore, New York, 1950.

18. Lewis, I.M. : A Pastoral Democracy, Oxford University Press, London, 1961.

19. Lewis, I.M. : The Northern Pastoral Somali of the Horn, In Gibbs (People of Africa) Holt., R. and Winston, N.Y. 1965.

20. Nanda, Serena : Cultural Anthropology, D. Van Nostrand Co., New York, 1980.